مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مجلة اسلامية . ثقافية . تصدر سنويا

العدد الثالث
1986

- صدى الأدب العربي في الدعوة الإسلامية
- مخطوطات ليبية
- وصول الإسلام إلى ساحل مليبار
- التيارات الفلسفية وعلاقتها بالصراع على الحكم

فلسفة تدريس اللغة العربية والدين الإسلامي

الدكتور
عمر التومي الشيباني

مقدمة :

إن تدريس اللغة العربية والدين الإسلامي كأي عمل جاد آخر ، لا بد له من فلسفة واضحة شاملة ، يستمد منها أصوله وأسسه ويسترشد بها في تحديد أهدافه وغاياته وفي رسم خططه ومناهجه واختيار طرقه وأساليبه ووسائله .

وفلسفة تدريس اللغة العربية والدين الإسلامي لا تعدو أن تكون جزءاً أو جانباً من الفلسفة التربوية العامة للبلد ، التي هي بدورها تمثل الجانب التطبيقي لفلسفته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية العامة .

والفلسفة التربوية في شعب يدين بالإسلام لابد أن يكون الإسلام بعقائده

الصحيحة وتعاليمه السمحة ومضامينه الفكرية والفلسفية والإنسانية أحد المصادر الأساسية التي تستمد منها مبادئها وأسسها العامة ، وذلك بجانب مصادر نفسية واجتماعية وثقافية واقتصادية وسياسية أخرى ، لا تخفى عن الشخص المتخصص في علوم التربية وأصولها .

وإذا كان لفلسفة التربية عموماً وفلسفة تدريس اللغة العربية والدّين الإسلامي خصوصاً كثير من المعاني التي لا يخلو بعضها من التجريد الفلسفي الذي لا يدركه إلا المتخصصون في الفلسفة. فإن ما نعنيه في هذه الورقة البسيطة بفلسفة تدريس اللّغة العربية والدين الإسلامي هو المعنى التطبيقي البسيط لهذه الفلسفة الذي يمكن التعبير عنه بأنها : « مجموعة المبادىء والمعتقدات والمفاهيم العامة والمسلمات التي حدّدت في شكل متكامل متناسق لتكون بمثابة المرشد والموجّه لتدريس اللّغة العربية والدّين الإسلامي في بلد مسلم »[1] .

وفلسفة تدريس اللغة العربية والدّين الإسلامي حتى بهذا المعنى البسيط ، فإن تحديدها بصورة شاملة ليس بالأمر الهين الذي يستطيع القيام به شخص واحد مهما أوتي من العلم والخبرة ، بل يحتاج إلى تكاثف جهود كثير من المتخصصين في مختلف العلوم التربوية والنفسية والإجتماعية واللّغوية والدّينية والواعين بواقع مجتمعهم الإسلامي ونظمه السياسية والاجتماعية والاقتصادية وبمشكلاته واحتياجاته وباحتياجات ومشكلات واتجاهات وآمال أفراده ، لأن فلسفة التربية ككل وفلسفة تدريس أية مادة من مواد الدراسة في النظام التربوي لا يمكن أن تكون بمعزل عن الواقع الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي للمجتمع الذي تقوم فيه ، بل لابد أن ترتبط بهذا الواقع ، فتراعي ظروفه واحتياجاته . وبناء فلسفة تربوية صالحة بهذا الشرط لابد أن يقوم بالدور الأكبر فيه أبناء المجتمع الذي ستطبق فيه هذه الفلسفة. أما دور غيرهم فيه فإنه لا يعدو دور المشورة والنصح والتوجيه وتقديم بعض الحقائق والمبادىء والملاحظات والاقتراحات والتوصيات العامة التي قد تفيد في تدعيم تدريس اللغة العربية وتدعيم تدريس مادة الدّين الإسلامي ، والتي يدخل بعضها في إطار فلسفة تدريس هاتين المادتين ، ولو بمفهومها البسيط العام الذي سبقت الإشارة إليه منذ قليل .

---

(1) ينظر كتابنا : فلسفة التربية الإسلامية . طرابلس ، ليبيا : المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1975 ، ص 11 ـ 35 .

والنقاط الرئيسية التي سيتم عرضها وشرحها ونقاشها بصورة موجزة مبسطة هي النقاط التالية :

1 ـ أهمية اللغة العربية والدراسات الإسلامية في تربية النشء المسلم .

2 ـ أهم أهداف تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي في مجتمع مسلم غير ناطق بالعربية .

3 ـ أهمية ومفهوم وخصائص وأنواع طرق التدريس الملائمة لتدريس اللّغة العربية والدّين الإسلامي .

4 ـ المبادىء والمرتكزات العامة التي ينبغي أن تقوم عليها طرق تدريس اللغة العربية والدين الإسلامي .

5 ـ بعض الاقتراحات والتوصيات العامة لتدعيم تدريس اللّغة العربية والدين الإسلامي في مجتمع إسلامي .

هذه هي أهم النقاط التي ننوي القاء بعض الضوء عليها في الصفحات التالية من هذه الورقة بصورة موجزة مجملة .

1 ـ أهمية اللغة العربية والدراسات الإسلامية في تربية النشء المسلم .

أ ـ فبالنسبة للنقطة الأولى ، فإننا لا نضيف شيئاً جديداً بالنسبة لأهمية اللغّة العربية ، إذا قلنا : إن اللغة العربية كانت ولا تزال لغة العلم والثقافة والحضارة ، فقد سبق لها ـ إبان ازدهار الثقافة الإسلامية ـ استيعاب ومسايرة أرقى ما وصل إليه العقل البشري . في مختلف العلوم ومجالات المعرفة الإنسانية من : كيمياء ونبات ، وفلاحة ، وأحياء ، وطب ، وصيدلة ، وبصريات ، وفيزياء ، وجيولوجيا ، ورياضيات بحتة وتطبيقية ، وموسيقى ، وهندسة ، وفلسفة ، وتاريخ ، وجغرافيا ، وما إلى ذلك من العلوم وفروع المعرفة التي تفوّق فيها المسلمون في عصور ازدهار ثقافتهم ولم تقصّر لغتهم العربية في التعبير عن مفاهيمها ومصطلحاتها .

ولا يزال في إمكان اللّغة العربية أن تستوعب حضارة العصر الحاضر وما تحتويه هذه الحضارة من اكتشافات واختراعات ومفاهيم ومصطلحات علمية وتقنية لو

وجدت من أهلها من يهتم بتطويرها وتجديدها ويستفيد من إمكانات التجديد والتطوير الكامنة فيها ، مثل إمكانات النحت والاشتقاق ، وما إلى ذلك من الإمكانات التي لا توجد لغيرها من اللّغات الحية .

واللغة العربية تستمد أهميتها ليس فقط من كونها إحدى اللّغات الحية المعاصرة التي ساهمت بما كتب بها من تراث فكري خالد ساهم ولا يزال يساهم في تطور الحضارة والثقافة الانسانيتين ، ومن كونها لغة يتكلمها كلغة قومية أصلية ما يقرب من 180 مليوناً عربياً يسكنون منطقة من أهم المناطق في العالم من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والاستراتيجية ، تمتد من الخليج العربي إلى المحيط الأطلسي ، وهي منطقة الوطن العربي ، ولكنها تستمد أهميتها أيضاً ، بل وقدسيتها أيضاً من كونها لغة القرآن الكريم المتعبد بكلماته واللغة الدينية للمسلمين الذين يكوّنون في مجموعهم خمسَ الجنس البشري تقريباً .

بهذه اللغة في شكلها الفصيح نزل القرآن الكريم .وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿إنا أنزلناه قرآناً عربياً﴾ ويقول جل شأنه أيضاً : ﴿ بلسان عربي مبين ﴾ ، وبهذه اللّغة كتب جلّ التّراث الإسلامي ، ودونت أصول العقيدة والشريعة الإسلامية ، حتى أصبحت بدون منازع وعاء الثقافة والشريعة الاسلامية ومناط أصالة كل مسلم يعتز بدينه وعقيدته وبتراثه الإسلامي .

يقول الشيخ أحمد عبد الرحيم السايح في بيان فضل القرآن الكريم على اللغة العربية ما ملخصه :

« نزل القرآن باللغة العربية فجعلها أكثر رسوخاً وأقوى استقراراً وأدق تصويراً لما يقع تحت الحس وأدق تعبيراً عما يجول في النفس . . أمدها بطاقة جعلتها أوسع أفقا ، وأبعد مدى على النهوض بتبعاتها الحضارية عبر التطور الدائم الذي تعيشه الإنسانية .

واستطاعت اللغة العربية في ظل القرآن الكريم أن تتسع لتحيط بأبعد انطلاقات الفكر وترتفع حتى تصعد أرقى اختلاجات النفس . . . . فقد كان القرآن الكريم مسجلاً لجميع ظواهر اللغة العربية ، لم يطرأ عليه أدنى تغيير أو تبديل . . . وما نعرف كتاباً ضمن الخلود للغة في الدنيا ، كما منح القرآن الخلود للغة

العربية . ولهذا السبب يضعه علماء اللغة في مقدمة المصادر التي يتم بها توثيق العربية . . . وهو أفصح ما نطق بالعربية ، وكانت فصاحته على نهج معجز لكل فصحاء العرب . . .

ولقد كان القرآن الكريم ثورة لغوية نقلت اللغة العربية من مرحلة اللهجات المختلفة الى مرحلة المجتمع المتحضر المرتبط بلغة واحدة ، ومن مرحلة التعبير الشخصي إلى مرحلة التعبير الموضوعي . . .

ولقد أجمع الباحثون على أن القرآن الكريم كان ولا يزال من أهم الحصون التي حمت اللغة العربية من الضياع . . .

وقد أوجد القرآن الكريم علوماً كثيرة ، منها ما يتعلق باللغة نفسها كعلم النحو وعلم الصرف وعلم البيان ، وعلم المعاني ، وعلم البديع . ومنها ما يتعلق بالدين : كعلم التفسير ، وعلم الحديث ، وعلم الفقه ، وعلم الأصول الى غير ذلك من العلوم الإسلامية الكثيرة التى نتجت عن القرآن الكريم .

«هكذا فإن جميع الدراسات اللغوية أثبتت في قوة أن سبب نشأة العربية ونموها واتساعها وشمولها وتبلورها وتطورها وقبولها للتعريب هو القرآن الكريم »[2] .

ومن المفكرين المسلمين المحدثين الذين أشادوا بأهمية اللغة وأهمية تعلّمها والعودة إليها بالنسبة لجميع المسلمين الشيخ عناية الله ، الأستاذ في جامعة البنجاب في مقال نشرته مجلة العالم الإسلامي Islamic World ، جاء فيها : « العربية ذات أهمية عظمى لكونها اللغة الدينية للمسلمين . . . ومهما كانت لغة المسلم ، سواء أكانت بربرية أم هوساوية أم بشتو أم فارسية أم تركية أم جاوية أم ملاوية ، فإن الصلوات تقام خمسة أوقات بالعربية يومياً . . أما الكلمات الأساسية في العقيدة الإسلامية مثل : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » فإنها يؤذن بها في أذن الوليد ، ومن بين أولى الجمل التي يعلم الطفل أن ينطق بها . وتلك ينبغي أن تكون هي الكلمة الأخيرة على شفاه الميت » .

ويستطرد الشيخ عناية الله في حديثه ليقول :

---

(2) أحمد عبد الرحيم السائح ، « اللغة العربية في ظل القرآن » ، مجلة اللسان العربي التي يصدرها مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط المجلد السابع عشر الجزء الأول 1979 ، ص 304 — 305 .

« بدون العربية يكون فهم الإسلام ناقصاً ، ولأجل فهم الأفكار المؤثرة في حياة المسلمين وعقائدهم ومبادىء دينهم وأخلاقهم التي ينشأون عليها ، علينا أن نعود إلى العربية . فهي الأداة الأصلية لكل العلوم الدينية في الإسلام . . . »[3] . .

ولهذه العلاقة الوثيقة التي تربط اللغة العربية بالاسلام ولأهمية هذه اللغة في فهم التراث الإسلامي التي كتب جله بها ، جاء الاعتقاد بقدسية اللغة العربية بشكلها الفصيح . وقد أثر هذا الاعتقاد تأثيراً واضحاً في اتجاهات المسلمين . نحو اللغة العربية يقول أنور شحنه :

« إن الإيمان بقدسية القرآن فيما يتعلق بمعانيه وكلماته وحتى أدق تفصيلاته أصبح يشمل ويحتوي اللغة بكليتها . إن مسألة العربية عطية الله وكونها فوق اللّغات جميعاً بجمالها وثروتها ونبلها قد جعلت اللّغة العربية تستحوذ وبعمق على اهتمام وتفكير فقهاء اللّغة ومشرعي الإسلام والفلاسفة والفقهاء وغيرهم »[4] .

وفوق ذلك كله ، فإن اللغة العربية هي أهم وأخطر رابطة بين الأجيال الإسلامية المختلفة الناطقة بها وأهم رابطة تربط بين الشعوب العربية الإسلامية بعد رابطة الإسلام . ومن واجب الشعوب العربية والإسلامية أن تتعاون على تقوية شوكتها ونشرها وتيسير تعليمها بين الشعوب الإسلامية التي لم تعد اللغة الرسمية لها ، بل عليها أن تتعاون على نشرها وتيسير تعليمها في جميع أنحاء العالم ، لأن من يتعلم اللغة العربية يصبح في الغالب صديقاً للثقافة العربية والثقافة الإسلامية .

ومن سوء حظ العرب والمسلمين أن شأن اللغة قد أخذ في الضعف بل في الاضمحلال وهو من أخطر المصائب التي حلت بالثقافة الإسلامية العربية ، فتحللت الشعوب الإسلامية غير العربية بعد سقوط الخلافة من اللغة العربية ، وانحصر استعمالها في الشئون الدينية وفي بعض المدارس وعند بعض العلماء ، وأصبح التعليم مزدوجاً وانفصلت الشئون الدينية عن الشئون الدنيوية في ظل الاستعمار الذي أدرك خطورة اللغة العربية والثقافة الإسلامية ، فعمل على إضعافها بكل ما أوتي من قوة ودهاء .

---

(3) كما اقتبسه : د محمد راجي الزغلول ، « ازدواجية اللغة : نظرة في حاضر العربية وتطلع نحو مستقبلها في ضوء الدراسات اللغوية » مجلة اللسان العربي . المجلد الثامن عشر الجزء الأول ، 1980، ص 23 — 25 .

(4) كما اقتبس في المصدر السابق ، نفس الصفحات .

وعندما جاء التعليم الحديث إلى العالم الإسلامي وبنيت النظم التعليمية الحديثة فيه تم بناؤها على أسس من النظم التعليمية الغربية . وكان من نتائج بناء النظم التعليمية في البلدان العربية والإسلامية على نمط النظم التعليمية الغربية : ضعف اللغة العربية والدراسات الإسلامية ، وازدواجية التعليم وثنائية الثقافة .

فانقسم التعليم إلى تعليم تقليدي وتعليم عصري حديث ، وانقسم المثقفون بالتالي إلى فريق سلفي وفريق حديث . وفي بعض المناطق الاسلامية قضي على الحرف العربي كلية في دواوين الدولة وفي مدارس التعليم الحديث ، وفي بعض آخر منها اقتصر على تعليم اللغة العربية كلغة ثانية أو ثالثة وكلغة دينية لقراءة القرآن الكريم من المصحف مباشرة بلفظه العربي ، ولو بدون فهم معانيه ومراميه السامية من نصه العربي .

وكان لضعف اللّغة العربيّة وضعف الاهتمام بالثقافة العربية الإسلامية في المناطق الإسلامية ولعوامل كثيرة اخرى أثر في انفصام الوحدة الإسلامية ، وفقدان التواصل والاتصال المباشر بين عامة الشعوب الاسلامية ، وضعف الهوية الاسلامية ، والانسياق وراء تيار التغريب والتبعية والتقليد للثقافة الغربية ، والوقوع فريسة لحملات الغزو الثقافي وما يرتبط به من حملات الإعلام الغربية وتشويهات المستشرقين المغرضين المعادين للإسلام وللثقافة الإسلامية والمقللين من شأن اللغة العربية الفصحى والواصفين لها عن جهل بها أو عداوة بالجمود والاصطناعية والصعوبة الى غير ذلك من التهم التي يوجهونها لها ويشارك هؤلاء المستشرقين المتعصبين ضد اللغة العربية والثقافية الإسلامية في عدائهم وتشويههم للغة العربية والثقافية الإسلامية وتشكيكهم في كثير من مزايا اللغة الفصحى ومن عقائد الإسلام وتعاليمه وقيمه : المبشرون المسيحيون الذين يريدون أن يروجوا لدينهم وعقائدهم بأية وسيلة وبأي ثمن ، ولو بالتّجني على اللغة العربية وتشويه الإسلام على غير أساس علمي ولا منطقي ولا واقعي .

ب ـ وإذا سلمنا بأهمية اللغة العربي في تربية النشء والشباب المسلم وتقوية أواصر المودة والأخوة والقربى بين الشعوب العربية والإسلامية ، فإن تسليمنا بأهمية الدراسات الإسلامية والثقافة الإسلامية في تربية النشء والشباب المسلم والشعوب الإسلامية عامة أيسر وأسهل وأقرب إلى البداهة التي لا ينكرها إلا من ختم الله على قلبه وعمى بصيرته وأغرقه في ظلمات الشك والإلحاد والانسياق وراء تيار الشهوات .

فالدراسات الإسلامية والثقافة الإسلامية الصحيحة التي أحسن اختيارها هي المصدر الذي يستمد منه المسلم معارفه ومعلوماته الأساسية المتعلقة بعقائده الدينية الأساسية ، وبتأدية فرائضه وشعائره وعباداته المفروضةوالمندوبة ، وبأحكام وقواعد تعامله مع أبناء مجتمعه وأمته الإسلامية ومع أفراد وجماعات المجتمع الإنساني عامة ، بل ومع جميع ما يحيط به في هذا العالم حتى الحيوانات والأشياء الجامدة، حيث إن الشريعة الإسلامية جاءت شاملة ، توجه وتنظم علاقات الانسان في هذه الحياة سواء ما يتعلق منها بربه وخالقه ، أو ما يتعلق منها بالاوساط المختلفة التي يتفاعل معها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من بني الإنسان وأفراد بقية أنواع الجنس الحيواني وعناصر النبات والجماد في هذا الكون .

والدراسات والثقافة الإسلامية ، كما هي المصدر والأداة التي ينمي عن طريقها المسلم معارفه ومعلوماته الدينية المتعلقة بعقائده الإيمانية وأسس تأديته لعباداته وشعائره الدينية وأحكام تعامله مع من وما يحيط به من البشر والحيوان والجماد ، ويتعرف عن طريقها على حقوقه الطبيعية التي ضمنها له الإسلام قبل أن تضمنها له الدساتير والقوانين الحديثة وعلى واجباته الدينية نحو ربه ودينه ونحو نفسه ونحو أسرته ونحو مجتمعه الإسلامي وأمته الإسلامية ونحو الإنسانية جمعاء ، فإنها المصدر والأداة التي ينمي عن طريقها أيضاً قيمه واتجاهاته وعواطفه الدينية ومبادىء فلسفته في الحياة . وفي مقدمة الاتجاهات والعواطف الدينية التي يتوقع من الدراسات الإسلامية أن تنميها في نفس المسلم : عاطفة الإيمان بالله وبرسله وكتبه واليوم الآخر وبقضائه وقدره وبكل ما جاء به الدين من عقائد ، والإقرار بالعبودية الصادقة لله وحده ، والالتزام بتقوى الله وخشيته ومراقبته الدائمة في السر والعلن وبغير ذلك من اخلاق الاسلام الفاضلة كالصدق والأمانة والإخلاص والحياء والاستقامة على أمر الله ، إلى غير ذلك من الاخلاق الفاضلة التي دعا إليها الإسلام والتزم السلف الصالح من المسلمين بها في حياتهم الفردية والاجتماعية .

وهكذا ، فإن الدراسات الإسلامية والثقافة الإسلامية لها أهميتها البالغة في حياة المسلمين أفراداً وجماعات . وهي تستمد أهميتها من الدين الإسلامي نفسه الذي لا يزال والحمد لله يتمتع بقوة تأثيره في نفوس المسلمين المؤمنين به وبقدرته على تحريك هذه النفوس ودفعها إلى الخير والعمل الصالح بما لا تستطيعه أية قوة أو سلطة خارجية أو دعوة سياسية أو اجتماعية لا تستمد أصولها منه .

فالنزعة الدينية في الإنسان فطرية أو تكاد تكون فطرية في النفوس . ولو تركت الفطرة الانسانية وأصالتها من غير محاولة لافسادها وتشويهها ، لما انحرفت عن عهد الله والإيمان به ولا زاغت عن هداه أو ضلت عن سبيله ، يقول جل شأنه في تأكيد فطرية النزعة الدينية : ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ (سورة الروم : 30) .

ويقول ﷺ في حديث قدسي : « يقول الله عزّ وجلّ : إني خلقت عبادي حنفاء ، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم » (رواه مسلم) .

ويقول ﷺ أيضاً في حديث آخر : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » (الحديث) . (أخرجه الطبراني)[5]

ومما يمتاز به الوازع الديني أنه وازع ذاتي داخلي يكون لدى كل إنسان مؤمن من نفسه وفي نفسه وهو أقوى من الوازع الخارجي الذي يستند إلى سلطة الحاكم والقانون والعرف وما إلى ذلك من عوامل وازع القوة والسلطان .

ولا تقل أهمية الدين والنزعة الدينية بالنسبة للمجتمع عن أهميتها بالنسبة للفرد فالدين الإسلامي الذي يهمنا أمره في هذه المقالة مقوّم أساسي من مقومات المجتمع المسلم والشخصية الإسلامية ومن مقومات الاستقلال العقائدي والفكري للمسلمين ، والمحرك الأساسي لحركة التاريخ الاسلامي وللفتوحات الاسلامية وأهم العوامل التي تكمن وراء بناء الثقافة الإسلامية والحضارة الإسلامية ، وأهم القوى المساعدة على تماسك المجتمع الاسلامي وتضامنه وقوته والمحافظة على استقلاله وشخصيته وهويته الإسلامية ، وذلك على الرغم مما تعرّض له ولا يزال يتعرض له ، من غزو سياسي وفكري يستهدف أول ما يستهدف القضاء على شخصيته الإسلامية ، ومن دعوات وتيارات سياسية وفكرية منافية أو معادية للاسلام ، ومن تحديات اقتصادية وحضارية .

فالإسلام هو الذي حفظ على الأمة الإسلامية شخصيتها الإسلامية عبر الأجيال والعصور رغم كل المحن والنكبات التي مرت بها في تاريخها الطويل . وقد استطاع أن

---

(5) ينظر : د . التهامي نقرة ، في ضوء القرآن والسنّة . تونس : الشركة التونسية للتوزيع ، 1976ص 110, 151 .

يضفي على البلاد والشعوب التي شملها جميعاً قدراً مشتركاً من الفكر الديني والحياة والمعاملات والعلاقات الإنسانية والاجتماعية والسياسية حتى أصبح اليوم هناك قدر حضاري مشترك بين المسلمين في مختلف اقطارهم وديارهم[6].

وسيبقى الإسلام هو الأمل على الدوام في نفوس المؤمنين به حقاً في إصلاح ما فسد من أحوال وأخلاق المسلمين وما غشيهم من ضعف وهوان ، وفي إيقاظ الرّوح النضالية وإرادة التغيير في نفوسهم ، حيث إن الله ـ كما يقرر القرآن الكريم ـ لا يغير نعمة أو بؤسا ولا يغيّر عزا أو ذلة ، ولا يغيّر مكانة أو مهانة ، إلا أن يغيّر الناس ما بأنفسهم . يقول تعالى : ﴿ إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ (سورة الرعد : 11) . ويقول جل من قائل : ﴿ ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ (سورة الأنفال : 53) .

حـ ـ وهكذا يتبين لنا من العرض السابق أهمية كل من اللغة العربية والدراسات الإسلامية في تربية النشء والشباب المسلم وفي بناء مجتمع إسلامي يربط حاضره بماضيه ومعاصرته بأصالته ، يعتزّ بدينه وعقيدته وثقافته الإسلامية التي أرجعته إلى الفطرة السليمة « التي فطر الناس عليها» وجعلت منه مجتمعاً قوياً مترابطاً متماسكاً متضامناً متحابّاً فيما بينه ، يؤمن بربه ويتبع هداه ويتمسك بتعاليم دينه ، وفي الوقت نفسه يعتز باللغة العربية التي نزل بها كتاب ربه الخالد القرآن الكريم ودونت بها السنّة النبوية المطهرة التي تعتبر المصدر الأساسي الثاني بعد القرآن الكريم للتشريع والتربية والتهذيب والتوجيه في الإسلام . وإلى هذين المصدرين الأساسين يرجع جميع مصادر التشريع والتوجيه الأخرى من قياس شرعي وإجماع ومصالح مرسلة ، واستحسان وما إلى ذلك من مصادر التشريع الفرعية في الإسلام التي ترجع جميعاً إلى الكتاب والسنّة اللذين قال الرسول الكريم محمد ﷺ في بيان أهميتهما ، ما في معناه : « تركت فيكم أمرين ما إن تمسكتم بهما ، فلن تضلوا بعدي : كتاب الله وسنة نبيّه » .

ومما يدعو الفرد المسلم والمجتمع المسلم إلى الاعتزاز أيضاً باللغة العربية هو أنها الوعاء لثقافته الإسلامية واللّغة التي كتب بها المصادر الأساسية للفكر الإسلامي ودوّنت بها أمهات الكتب مختلف العلوم الإسلامية : أصولها وفروعها ووسائلها والتي لا يمكن للمسلم أن ينفذ إلى هذه المصادر والأمهات ويفهم مضامينها إلا بالإلمام

---

(6)عمر بهاء الدين الأميري ، الاسلام في المعترك الحضاري ، بيروت : دار الفتح ، 1968 ص 15 — 16 .

والتمكن الكامل من اللغة العربية . ويعتبر تعلّم القدر الضروري منها التي يحتاج إليه المسلم في تأدية صلاته الواجب أداؤ ها في القول الأصح باللّغة العربية أمراً واجباً ، لأن مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب. وكل من تعمق في دراسته الإسلامية يدرك العلاقة العضوية بين الإسلام واللغة العربية ، وبين الدراسات الاسلامية ودراسة اللغة العربية وآدابها وعلومها المختلفة . فقد ربط الإسلام بين هذين النوعين من الدراسات برباط متين لا ينفصم مدى الحياة .

وإذا كان لابد لكل تربية صالحة من أصول تستند إليها ومصادر تشتق منها مبادئها وأهدافها وغاياتها ومقاصدها وتوجيهاتها ، فإن الدين الإسلامي والفكر الإسلامي يجب أن يعتبر الأصلين والمصدرين الأساسيين لفلسفة وأهداف التعليم والتربية في المجتمعات الإسلامية ، وذلك بجانب الأصول والمصادر النفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية الأخرى والاعتبارات المعاصرة والاحتياجات الحاضرة المختلفة التي يجب أن يكامل بينها وبين الإسلام والفكر الإسلامي في شمولها ومرونتها ورحابة صدرهما وقبولها لكل ما فيه خير ونفع المسلمين في الدنيا والآخرة .

إن دعوتنا إلى الرجوع إلى الإسلام وإلى الفكر الإسلامي الصحيح في تحديد فلسفة وأهداف ومحتويات وطرق التعليم في مجتمعاتنا الإسلامية المعاصرة ، ليست مجرد دعوة إلى التمسك بتراث ماض يجب الحفاظ عليه ، بل هي دعوة إلى اللجوء إلى مصدر حيوي دينامي متجدد متطور على مر العصور والأزمان ، يمتلك من المرونة في قواعده ومبادئه العامة المتعلقة بتربية النفوس البشرية وتنظيم الحياة الإنسانية ما يجعله صالحاً لكل زمان ومكان ولجميع المجتمعات والبيئات[7] . فهو يدعو إلى تربية الإنسان الصالح الذي يعم خيره الإنسانية جمعاء ، ويقرر في تصميم أن الناس سواسية كأسنان المشط وأنه لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أصفر أو أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح ، فكل الناس لآدم وآدم من تراب . وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ يا أيها الناس : إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير ﴾ (سورة الحجرات : 13)

---

(7) ينظر كتابنا : فلسفة التربية الإسلامية ، ص 23 — 30 , 304 — 313.

2 ـ أهم أهداف تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي في مجتمع مسلم .

أ ـ وإذا كان لتعليم اللغة العربية والدين الإسلامي ما سبقت لنا الإشارة إليه في الفقرة السابقة من أهمية بالغة بالنسبة للفرد المسلم والمجتمع المسلم على حد سواء ، فإنه لابد أن يكون لهذا التعليم أهدافه الواضحة التي تحدد مقاصده وغاياته ومراميه العامة والخاصة . فهذه الأهداف تعتبر جزءاً لا يتجزأ من فلسفة هذا التعليم ، وتحديدها يعتبر خطوة أساسية أولى من خطوات التخطيط لهذا التعليم كما يعتبر سابقة على مرحلة تحديد واختيار محتويات وموضوعات وطرق وأساليب ووسائل هذا التعليم .

ومن أبسط التعريفات التي يمكن أن تذكر للهدف التربوي في مجال اللغّة العربية والدين الإسلامي ، هو أنه ذلك « التغير المرغوب فيه الذي تسعى العملية التعليمية أو الجهد التعليمي الذي يبذل في تعليم وتدريس هاتين المادتين من مواد المنهج الدراسي الى تحقيقه ، سواء في سلوك الفرد المسلم وفي أدائه اللغوي وفي تعامله مع ربه ومع بني مجتمعه المباشر ومع غيرهم من خلق الله ، أو في حياة المجتمع الذي يعيش فيه » .

وانطلاقاً من هذا التعريف المبسط لهدف تعليم اللّغة العربية والدين الإسلامي في مجتمع اسلامي ، فإن الجهد الذي يبذل في سبيل هذا التعليم يجب أن يسعى إلى نوعين من التغير ، أحدهما تغيّر فردي يتعلق بسلوك الفرد المتعلم وبمقدرته اللغوية وأدائه اللغوي الخاص باللغة العربية ، كما يتعلق بكيانه الروحي وضميره الديني والخلقي وأسلوب تعامله مع ربه ومع نفسه ومع غيره . وثانيهما تغير اجتماعي يتعلق بحياة المجتمع والوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه الفرد المتعلم والذي لابد أن يستفيد من الجهود التي تبذل في تعليم اللغّة العربية والدين الإسلامي ، بحيث تنعكس آثار هذا التعليم على حياة المجتمع الذي يقوم هو فيه ثراءً في ثقافته وحضارته وربطاً لحاضره ومستقبله بماضيه وتأكيداً لأصالته وهويته الإسلامية وتعاوناً وتضامناً وانسجاماً بين أفراده وجماعاته وتحسناً في أخلاق ومعاملات أفراده وجماعاته .

والتعريف السالف الذكر يبيّن بوضوح أن العملية التربوية هي عملية فردية واجتماعية في آن واحد، فكما تستهدف اصلاح الفرد ، فإنها تستهدف ايضاً

إصلاح المجتمع ، وربما تعدت أهدافها إلى ما هو أبعد من ذلك ، فاستهدفت أيضاً أصلاح عمليات التعليم نفسها وإصلاح مهنة التعليم والتدريس ككل .

والتغير المرغوب الذي تستهدفه عمليات وجهود تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي في سلوك الفرد المسلم يجب أن يشمل معارفه ومفاهيمه ، ومهاراته وقدراته وقيمه وعواطفه واتجاهاته . فهذه الجوانب جميعاً (المعرفة ، والمهارة ، والاتجاه) يجب أن تنال حظها من التغير المرغوب ، بحيث تصبح أفضل مما كانت عليه قبل عملية التعليم والتعلم .

وأهداف تعليم اللغة العربية والإسلام ، كما تنقسم الى أهداف فردية وأخرى اجتماعية ، وإلى أهداف معرفية وأهداف مهارية وأهداف اتجاهية أو وجدانية وعاطفية ، فإنها تنقسم أيضاً حسب قربها وبعدها وحسب خصوصها وعمومها إلى أهداف قريبة وأخرى بعيدة المدى ، وإلى أهداف عليا وأهداف عامة وأهداف خاصة أو جزئية .

1 ـ ويقصد بالهدف الأعلى هو ذلك الهدف الذي لا يعلوه هدف آخر ، والذي لا يقتصر وجوب تحقيقه على مرحلة معينة من مراحل التعليم ولا على مؤسسة من مؤسساته ، ولا يتقيد تحقيقه بزمان أو مكان معين بل يمتد عبر العصور والأزمان ومن الأمثلة التي يمكن أن تضرب لهذا النوع أو المستوى من الأهداف التربوية للتربية الدينية والتربية الإسلامية عموماً تكوين الإنسان الصالح « أو الفرد الصالح الذي سمت نفسه واستيقظ ضميره وحسنت أخلاقه وقوي إيمانه ، واتبع هدى ربه وسلك سبيل الصالحين من عباده ، واشتدت خشيته ومراقبته لله في السر والعلن ، وتكامل نمو شخصيته ، فغدا يهتم بمصالح أمته كما يهتم بمصالحه ويمتثل أوامر ربه ويتجنب نواهيه ، ويراقب ربه في جميع أقواله وأفعاله ، ويحب الخير لغيره كما يحبه لنفسه ، ويتعاون في فعل كل خير ويهتم بآخرته كما يهتم بدنياه » ، ويذكر على الدوام نعم ربه عليه التي لا تحصى ، ويداوم على شكرها ليستزيد منها وهو يسترشد في كل ذلك بما جاء في كتاب ربه من آيات قرآنية كثيرة وبما ورد في سنّة نبيه محمد ﷺ من أقوال حكيمة صائبة توجه الى الخير وتحث عليه وذلك من أمثال :

قوله تعالى : ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ (سورة الحشر) .

وقوله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ (الحجرات : 10) .

وقوله تعالى : ﴿ فاما يأتينكم مني هدى ، فمن تبع هداي ، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ (سورة البقرة : 38) .

وقوله تعالى : ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ﴾ (سورة النازعات : 40) .

وقوله تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ، ونعلم ما توسوس به نفسه ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴾ .

وقوله تعالى :﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ .

إلى غير ذلك من الآيات القرآنية الكريمة المُوجّهة للمسلم أن يكون إنساناً وفرداً صالحاً ، والمتضمنة لكثير من الصفات التي يحتاج إليها هذا الإنسان الصالح في ظل ما تقتضيه العقيدة الإسلامية ويتطلبه المجتمع المسلم .

ومما روي في السنّة النبوية المطهرة في تأكيد صفات « الإنسان الصالح » . السالفة الذكر .

قوله ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

وقوله ﷺ : « خير الناس أنفعهم للناس» .

وقوله ﷺ : « من لم يهتم للمسلمين فليس منهم » .

وقوله ﷺ : « والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه » .

وقوله ﷺ : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً » .

وقوله ﷺ « ما أكل ابن آدم طعاماً خيراً من عمل يده ، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده » .

وقوله ﷺ : « ما من مسلم يزرع زرعاً أو يغرس غرساً فيأكل منه إنسان أو دابة إلا كتب له صدقة » .

إلى غير ذلك من الأحاديث النبوية الشريفة التي تؤكد وتثني على ما جاء في آيات القرآن الكريم بخصوص الإنسان المسلم الصالح الذي يعتبر تكوينه أحد الأهداف العليا للتربية الدينية وللتربية الإسلامية عامة .

2 ـ أما الأهداف العامة لتعليم اللغة العربية والتربية الدينية ، فإنه يقصد بها تلك الغايات أو التغيرات المرغوبة التي يسعى إلى تحقيقها ذلك التعليم وهذه التربية والتي تعتبر أقل عموماً وأقرب منالاً من الأهداف العليا وأقل خصوصاً من الأهداف الخاصة . وقد تكون للتعليم اللغوي والديني ككل في جميع مراحل التعليم ، وقد تكون لهذا التعليم في مرحلة من مراحل التعليم كالمرحلة الأبتدائية أو الثانوية أو العالية ، وقد تكون لفرع من فروع اللغة العربية ، إن درس كل واحد منها منفصلاً عن الآخر كالقراءة أو المطالعة وكالادب أو البلاغة أو القواعد النحوية والصرفية ، أو لفرع من فروع التربية الدينية كالتوحيد والعقيدة أو التفسير أو الحديث أو الفقه أو غير ذلك من فروع التربية الدينية ، إن درس كل منها منفصلاً عن الآخر .

ومن أمثلة هذا المستوى أو النوع من الأهداف التربوية لتعليم اللغة العربية والتربية الدينية ، بصورة عامة ، ما سنشير إليه في الجزء الثاني من هذه الفقرة بعد قليل .

3 ـ أما بالنسبة للأهداف الخاصة لتعليم اللغة العربية والتربية الدينية فإنه يقصد بها تلك التغيرات الجزئية أو الفرعية التي تدخل تحت كل هدف من الأهداف التربوية العامة لتعليم اللغة العربية والتربية الدينية والتي لا يمكن أن يتحقق الهدف العام تحققاً كاملاً إلا إذا تم تحققها . فلكي يتحقق هدف عام من أهداف تعليم اللغة العربية التي سيأتي ذكرها ، مثل تدعيم مكانة اللغة العربية في نفوس النشء المسلم والشباب المسلم أو تمكين المسلمين من اتقان اللغة العربية قراءة وكتابة ومحادثة أو أي هدف عام من اهداف التعليم الديني ، مثل هدف ، « تنمية الوازع الديني والخلقي » ـ فإنه لابد أن يتحقق عدد كبير من الأهداف الخاصة أو الجزئية التي تدخل تحت ذلك الهدف العام . وإذا كانت هذه الورقة لا تتسع لذكر الأهداف الخاصة والجزئية لتعليم اللغة العربية والتربية الدينية في مجتمع مسلم ، فإننا لن نهمل ذكرها كلية بل سنشير إلى بعضها تحت هدف من الأهداف العامة التي سنذكرها بعد قليل .

وأيا كان نوع ، الأهداف التربوية التي تذكر للغة العربية والتربية الدينية ،

فإنها ينبغي أن تتسم : بالشمول ، والترابط والتكامل فيما بينها والاعتدال والتوازن وعدم التناقض والتضارب ، والوضوح ، والواقعية ، وقابلية التطبيق ، والمرونة وقابلية التطور والتغير عندما تقتضي الحاجة ذلك، والصياغة في شكل تغيرات سلوكية وروحية وثقافية واجتماعية مرغوبة .

ب ـ بعض الأهداف العامة لتعليم اللغة العربية والتربية الدينية في مجتمع مسلم :

بعد تلك الفكرة البسيطة عن مفهوم الهدف التربوي وأنواعه ومستوياته وشروط الجيّد منه ، فإنه يجدر بنا أن نختم هذه الفقرة بتقديم قائمة مختصرة ببعض الأهداف الفردية والاجتماعية العامة لتعليم اللغة العربية والتربية الدينية وببعض الأهداف الجزئية والخاصة التي تدخل تحت كل منها ، في مجتمع مسلم :

أولاً : الأهداف العامة المناسبة لتعليم اللغة العربية :

ومن أهم الأهداف الفردية والاجتماعية العامة المناسبة لتعليم وتدريس اللغة العربية ، في مجتمع مسلم هي الأهداف التالية :

1 ـ تزويد المتعلمين المسلمين بالمعارف والمعلومات الضرورية في مجال اللغة العربية لتكوين الأساس المعرفي اللاّزم لبناء مهاراتهم وميولهم واتجاهاتهم اللّغوية السليمة في هذا المجال ، وذلك عن طريق تعريفهم بالأسس السليمة للكتابة العربية والخط العربي وبالقواعد الأساسية للإملاء العربي ، وبالأسس السليمة للقراءة العربية الجيدة والمثمرة بأنواعها المختلفة ، بالأسس الصحيحة لقراءة القرآن الكريم بالذات ولتلاوته وتجويده ، وبالقواعد النحوية والصرفية الضرورية لتقويم ألسنتهم العربية . وتعريفهم كذلك بعلاقة اللّغة العربية بالدّين الإسلامي وبمكانتها فيه ، وبما في اللغة العربية عموماً وفي الأدب العربي خصوصاً من جمال وإبداع وصور جمالية وفنية مبدعة ، وببعض النصوص الأدبية المختارة وبأسس تذوقها ونقدها ، وتنمية ثروتهم اللّغوية وزيادة رصيدهم اللّغوي العربي باستمرار ، مع الحرص على استعماله في كلام عربي مفيد يحقق الاتصال والتفاهم الجيّدين باللغة العربية

2 ـ تنمية مختلف المهارات والقدرات اللغوية التي يحتاجها الفرد المسلم المثقف غير الناطق بالعربية ، لاتقان لغته العربية قراءة وكتابة ومحادثة ونطقاً وأداء وفهما

وتذوقاً لنصوصها وتفكيراً منظماً بها . ومن الأهداف الخاصة أو الجزئية التي تدخل تحت هذا الهدف العام تنمية المهارات والقدرات اللغوية التالية : القدرة على الكتابة العربية بخط عربي جميل ووفق قواعد إملائية صحيحة ، والقدرة على قراءة وفهم وتحصيل ما كتب باللّغة العربية الفصحى وعلى قراءة وتلاوة القرآن الكريم بالذّات على أسس سليمة ، والقدرة على نطق الكلمات بالعربية نطقاً سليماً وعلى إخراج الحروف العربية من مخارجها الأصلية وعلى الأداء اللغوي الذي يمكّن السامع له أن يفهم كلامه وعلى التعبير والإفصاح عما في نفسه وعن مشاهداته بلغة عربية واضحة والقدرة على استخدام اللغة العربية في مواقف الحياة المختلفة وعلى الاختيار الدقيق لكلماته وجمله وأساليبه بما يجعلها أكثر تمشّياً مع المعاني والأفكار التي يريد التعبير عنها ومع المقام والموقف الذي يوجد هو فيه وقت التعبير وعلى تركيب الكلام وربط بعضه ببعض ربطاً جيداً وعلى الاستماع الجيد الناقد الواعي لمن يتحدث إليه بالعربية ، وبالقدرة على تطبيق ما درسه من قواعد نحوية وصرفية وعلى تجنّب الاخطاء النحوية والصرفية وتمييزها في الكلام والكتابة ، والقدرة على تذوّق الأدب العربي وإدراك ما فيه من معان دقيقة وصور جمالية وخيال مبدع ، والقدرة على التفكير المنظم باللغة العربية ، حيث إن اللّغة العربية ـ كأية لغة أخرى ـ ليست مجرد أداة تعبير بل هي أداة تفكير أيضاً .

3 ـ تنمية الميول والاتجاهات الإيجابية نحو تعلّم اللغة العربية لدى المتعلمين ، بحيث يصبحون أكثر ميلاً وأشد رغبة في تعلمها ، وأكثر حرصاً على مواصلة تعلمها بطرقهم الذاتية حتى بعد تركهم للمدرسة وانقطاعهم عن الدراسة الرسمية ، وأكثر حباً وتقديراً ، لها ، وأكثر ثقة بها ، وأكثر إيماناً بأهميتها كلغة للقرآن الكريم وللسنّة النبوية المطهرة وكوعاء للتراث الإسلامي وللثقافة الإسلامية في أزهى وأبهى عصورها وكرابط من أهم الروابط الثقافية المشتركة بين شعوب الأمة الإسلامية وأكثر إدراكاً وتذوّقاً وتقديراً لما فيها من جمال وموسيقى ، وأكثر لياقة وتأدباً في استماعهم ومناقشتهم لغيرهم وفي محادثتهم واتصالهم بغيرهم .

4 ـ تقوية شوكة اللغة العربية والثقافة العربية الإسلامية وتحصينها بين الشعب المسلم ، وذلك عن طريق تكوين جيل مسلم يقرأ ويكتب باللغة العربية الفصحى ، ويقدر قيمتها ، ويتذوق آدابها وفنونها ، ويتابع تعلّمها باستمرار ، ويساهم في نشر الثقافة العربية في أوساط الشعب المسلم وعن طريق تكوين كوادر فنية من معلمي

ومدرسي وكتّاب اللغة العربية تتولى تعليمها وتدريسها للنشء والشّباب المسلم والراغبين في تعلّمها من الكبار كما تتولى الكتابة والتأليف بها والقيام على شئونها وحراستها من الضعف والإندثار .

5 ـ توثيق صلة الشعب المسلم ثقافياً وروحياً بالشعوب العربية التي تتخذ من اللّغة العربية لغة قومية لها ، وببقية الشعوب الإسلامية غير العربية التي لا تزال تهتم بتعليم ونشر اللغة العربية بينها ، كلغة حية ولغة دينية ترتبط بالقرآن الكريم المنزّل باللغة العربية على سيدنا محمد ﷺ والمعجز بلفظه والمتعبّد بتلاوته ، والمنقول إلينا بالتواتر المفيد للقطع واليقين والمكتوب في المصحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس ، كما ترتبط بالتراث الإسلامي وبأصول الثقافة الإسلامية ، وتعتبر أبرز مقومات الثقافة الإسلامية وأهم الأدوات لقراءة وفهم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وأصول الشريعة الإسلامية وأحكامها في أصولها ومصادرها الأصلية .

ثانياً : بعض الأهداف العامة للتربية الدينية في المجتمع المسلم :

أما بالنسبة لأهداف تعليم الدين الإسلامي والتربية الدينية في المجتمع المسلم فإن أهمها ما يلي :

1 ـ تمكين الفرد المسلم من اكتساب المعارف والمعلومات الدينية الصحيحة التي تمثل الفهم الصحيح والسليم لنصوص وأحكام ومقاصد الشريعة الإسلامية وعقائد الإسلام وتوجيهاته السامية بما ينفع في الدنيا والآخرة . ومن المعارف والمعلومات الضرورية والتي ينبغي للتعليم الديني أن يزود المسلم بها : معرفة العقائد الإيمانية الصحيحة المتعلقة بوجود الله ووحدانيته وببقية الصفات الواجبة في حقه تعالى والصفات المستحيلة والجائزة في حقه ، وبكتب الله ورسله ، وباليوم الآخر وما فيه من بعث ونشر وحشر وحساب وجزاء ، وبقضاء الله وقدرة مع أدلتها المبسطة الميسرة السمعية والعقلية ، ومعرفة القدر الضروري من المعلومات الفقهية والأحكام الفقهية التي يحتاجها المسلم في تأدية عباداته وشعائره الدينية من صلاة وصوم وزكاة وحج وما إلى ذلك ، والتي يحتاجها في حياته الأسرية وفي معاملاته الاقتصادية والاجتماعية وفي علاقاته مع غيره ، ومعرفة القدر الضروري عن النظرية الخلقية في الإسلام وعن أهم القواعد الخلقية وأمهات الفضائل في الإسلام وعن خصائص ومميزات ومصادر الأخلاق الإسلامية والشريعة الإسلامية بأكملها التي تشمل في مفهومها الواسع

العقائد والعبادات وأحكام المعاملات والأخلاق والتي جاءت تنظم وتوجّه جميع علاقات الإنسان المسلم ، سواء بربه أو بنفسه أو بغيره من بني البشر وعناصر الكون من الحيوان والنبات والجماد . كذلك معرفة القدر الضروري من الحقائق والمعلومات عن **تاريخ القرآن الكريم** وأسباب وكيفية ومراحل نزوله والسياق التاريخي لآياته المكية والمدينة وعن **السيرة النبوية** وتدوين السنّة النبوية وعلاقتها بالقرآن الكريم وحجيتها، وعن **بعض الصفحات المشرقة** في تاريخ الإسلام وعن الطريقة السامية الإنسانية التي انتشر بها وبخاصة في مناطق جنوب شرق آسيا وعن النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في الإسلام ، وعن غير ذلك من النواحي الإسلامية التي تسمح بها سن المتعلمين والمرحلة التعليمية التي يمرون بها ، ونوع التعليم الذي يسيرون فيه وظروف المنهج الدراسي الذي يطبقونه . فتكوين مثل هذا القدر الضروري من المعرفة والثقافة الإسلامية أمر ضروري لبناء أي مهارة أو اتجاه ديني سليم .

2 ـ **بناء الفرد المسلم المؤمن بربه وبأنبياء الله** ورسله وما أنزل عليهم من كتب سماوية وما أوحى إليهم من وصايا وتعاليم تدعو جميعاً إلى توحيد الله وتحقيق الخير والعدل للإنسان وباليوم الآخر وما فيه من مغيّبات وبقضاء الله وقدره ، والقويّ في نزعته الدينية وفي ضميره الديني والخلقي والعامر قلبه بحب الله وتقواه وخشيته والثقة الكاملة به ، **والمراقب له** في السر والعلن والشاكر له على نعمائه التي لا تحصى ، **والمتوكل عليه** في حياته كلها من غير تواكل ولا كسل ، والمستعين به في كل أموره ، **والملتزم بأوامره** والمتجنب لكل ما نهى عنه من المعاصي والمحرمات والرذائل الخلقية ، **والمحب لغيره** ما يحب لنفسه، والمعتدل في كل شيء حتى في عباداته، **والمعتز بدينه** وتراثه الإسلامي وثقافته الإسلامية ، إلى غير ذلك من الميول والاتجاهات والعواطف الدينية المرغوبة التي يحتاجها المؤمن الصالح والتي لابد للتربية الدنية أن تساهم في بنائها في نفس المسلم .

3 ـ تكوين المسلم **القادر على تأدية عبادته وشعائره الدينية** بالطريقة والكيفية التي أمر بها الدين ، والقادر على ضبط معاملاته وعلاقاته الاجتماعية والاقتصادية حسب تعاليم وأحكام الشريعة الإسلامية وعلى تأدية واجباته الدينية ونيل حقوقه التي كفلها له الدين بالطريقة التي يرضى عنها الدّين ، والقادر على ضبط نزواته وكبح شهواته أمام المغريات والمثيرات ، والقادر على صيانة نفسه من مخالطة الأشرار وقرناء السوء ، والقادر على فهم مرامي الدّين ومقاصده وما في تعاليمه من ثوابت ومتغيرات

وما فيها من مرونة وقابلية للتطبيق في كل زمان ومكان ، والقادر على إدراك ما يثيره أعداء الإسلام من شبهات حوله وما يحركونه من دسائس ضده وعلى الدفاع عن الإسلام ضد هذه الشبهات والدسائس.، إلى غير ذلك من القدرات والمهارات التي يحتاجها الفرد المسلم والتي لابد للتربية الدينية أن تساهم في بنائها وتكوينها لدى هذا الفرد .

4 ـ دعم الحياة الدينية والروحية في المجتمع الماليزي، وبناء مجتمع إسلامي تنتصر فيه القيم الدينية والخلقية ، وتنتشر وتقدر فيه الثقافة الإسلامية الصحيحة، ويرتفع فيه الوعي الديني ، ويسود فيه الفهم الصحيح لمبادىء الدين وتعاليمه وأحكامه وينعكس هذا الفهم الصحيح على سلوك أفراده وعلى أساليب الحياة والمعاملة السائدة فيه ، وتظهر فيه الحقائق الدينية على صفائها وإشراقها ، وتدفع فيه الشبهات التي تثار حول الإسلام وحول الثقافة الإسلامية ، وتحارب فيه البدع والخرافات والأباطيل التي ألصقت بالإسلام وهو منها براء ، ويحدث فيه التوازن بين التقدم المادي والتقدم الروحي ، ويتكون فيه رأي عام فاضل يحث على الخير وينفر من الشر ويأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ، إلى غير ذلك من خصائص المجتمع الإسلامي التي لابد للتربية الدينية أن تساهم في بنائه .

5 ـ تقوية جانب الثقافة الإسلامية في البلاد ، وبعث الأهتمام بإحياء التراث الإسلامي ونشر الثقافة الإسلامية ، وتحصين الشعب المسلم من أمراض التحلّل والتفسق ومن موجات الإلحاد والتشكيك في قيم الدين وصلاحية تعاليمه لروح العصر ومن دعوات التغريب ، وتوحيد صفوفه ودعم وحدته الوطنية على أساس ما دعا له الإسلام من وحدة وتماسك وتكاتف وتضامن وتعاون وعدالة ومساواة وتوازن واعتدال واحترام متبادل بين جميع فئات الشعب وعناصره وتسامح حيال أهل الأديان الأخرى[8] .

هذه هي أهم الأهداف العامة الفردية والاجتماعية التي يمكن أن تقترح لتعليم اللغة العربية والتربية الدينية .

3 ـ أهمية مفهوم وخصائص وأنواع وطرق التدريس الملائمة لتدريس اللغة العربية والدين الإسلامي :

ولتحقق الأهداف العامةالسالفة الذكر وما يدخل تحتها من أهداف خاصة فإنه

(8) ينظر نفس المرجع السابق . ص 281 — 342.

لابد من توفر منهج دراسي مناسب يأخذ في اعتباره عند تحديد مواده ومقرراته وموضوعاته وأنشطته وخبراته تلك الأهداف حتى يكون عوناً على تحقيقها ، كما لا بد أن تكون هناك طريقة تدريس مناسبة لطبيعة هاتين المادتين ولما تشتملان عليه من موضوعات ومحتويات ولسن المتعلمين وللمرحلة الدراسية التي يراد تدريس هاتين المادتين فيها ، وفي الوقت نفسه تكون متمشية مع الأهداف المحددة لهاتين المادتين ومساعدة على تحقيق هذه الأهداف .

وحسب الموضوع المحدد لنا في جدول أعمال هذه الندوة ، فإننا لن نهتم بمنهج هاتين المادتين ولا بالمحتويات والموضوعات التي ينبغي أن يتضمنها هذا المنهج بل سيقتصر اهتمامنا بطريقة تدريس هاتين المادتين من حيث أهميتها ومفهومها وخصائصها وأنواعها وشروط الجيد منها ، وإن كانت هذه الطريقة غير منفصلة عن المنهج .

أ ـ أهمية طريقة التدريس :

فطريقة التدريس تعتبر أحد العناصر الأساسية للمنهج الدراسي بمفهومه الواسع ، سواء أخذ هذا المنهج ككل . أو أخذ في بعض مواده ، كمادتي اللغة العربية والدّين الإسلامي . فأي منهج له أربعة أركان أو عناصر رئيسة ، هي الأهداف أو الغايات والتغيرات الفردية والاجتماعية التي يسعى المنهج الى تحقيقها ، والمحتويات والموضوعاتوالانشطة والخبرات والمقررات التي يتضمنها ويحتويها المنهج والطريقة أو الطرق والأساليب والوسائل المتبعة في تدريس محتويات ومقررات ذلك المنهج وفي توضيح وشرح مفاهيمه ومعلوماته وتقديمها وتقريبها إلى اذهان المتعلمين وطرق وأساليب ووسائل التقويم المتبعة في تقويم تحصيل المتعلمين والنتائج التربوية المرغوبة الأخرى التي استطاع المنهج أن يحققها ، وذلك بالمقارنة بالأهداف التربوية العامة والخاصة المحددة له .

وبالنسبة لطريقة التدريس التي تهمنا في المقام الأول في هذه المحاضرة والتي تمثل الركن الثالث من أركان المنهج الأربعة السالفة الذكر ، فإننا لا نبالغ إذا قلنا : إنها الأساس الذي تبنى عليه مهنة التدريس ، والجانب الذي يتوقف على النجاح فيه نجاح المدرس في عمله . فعلى قدر نجاح مدرس اللغة العربية والدين الإسلامي في طريقة تدريسه يكون نجاحه في عمله كمدرس .

ولهذه الأهمية التي تحتلها طريقة التدريس في العملية التعليمية والعملية التربوية بصورة عامة ، وبالنسبة لمقررات اللغة العربية والدين الإسلامي بصورة خاصة فإنه من الضروري الاهتمام والعناية بإصلاحها وتطويرها في مناهج وبرامج إعداد المعلمين قبل الدخول إلى المهنة ثم مواصلة تحسينها وتطويرها في برامج تدريبهم أثناء الخدمة . وفي سبيل تحقيق إصلاح طرق تدريس اللغة العربية والدين الإسلامي يجب أن تتعاون جهود الباحثين التربويين والمتخصصين في العلوم التربوية والنفسية وفي تدريس اللغات كلغة ثانية . وجهود المدربين والمبرمجين لبرامج تدريب المعلمين أثناء الخدمة وجهود المتخصصين في وسائل التعليم وتقنياته .

ب ـ مفهوم طريقة التدريس :

وطريقة التدريس في مجال اللغة العربية والدين الإسلامي تعنى في أبسط معانيها « جميع أوجه النشاط الموجه والهادف الذي يقوم به مدرس اللغة العربية والدين الإسلامي في إطار ما تقتضيه طبيعة ومتطلبات مادة تدريسه وخصائص نمو تلاميذه وميولهم وحاجاتهم النفسية والتعليمية ومستويات قدراتهم العقلية ومستويات تحصيلهم في هذه المادة ، وفي ضوء ظروف بيئته والإمكانات المتوفرة له في مدرسته ، وذلك بقصد مساعدة تلاميذه على تحقيق التعلّم اللغوي والديني المنشود وتحقيق التغير المرغوب في سلوكهم اللغوي والديني وفي أخلاقهم وتعاملهم في الحياة ، ومساعدتهم بالتالي على اكتساب المعارف والمعلومات والحقائق والمهارات والميول والاتجاهات والعادات اللغوية والدينية السليمة » .

ومن هذا التعريف البسيط الذي ذكرناه لطريقة تدريس اللغة العربية والدين الاسلامي يمكننا أن نستخلص الحقائق التالية :

1 ـ إن طريقة التدريس لهاتين المادتين هي وسيلة مدرسهما لمساعدة تلاميذه فيهما **على تغيير سلوكهم في الاتجاه** المرغوب ووفق **الأهداف** المرسومة لهاتين المادتين إنها في إيجاز : **همزة الوصل وحلقة الاتصال** بين المعلم والمتعلم .

2 ـ إن طريق تدريس اللغة العربية والدين الإسلامي **تعني أكثر من مجرد أداة ووسيلة لتوصيل المعارف** والمعلومات والمبادىء والقواعد اللغوية والتعاليم والأحكام الدينية إلى ذهن المتعلم ليحفظها ويرددها عن ظهر قلب فهي تعنى بالإضافة إلى كل هذا أن تكون أداة لمساعدة المتعلّم على اكتساب المهارات والقدرات والعادات والميول

والاتجاهات اللغوية والأدبية والدينية المرغوبة ، فتدربهم على النطق الصحيح والتعبير السليم والقراءة الصحيحة وعلى الأداء الجيد والممارسة الصحيحة لعباداتهم وشعائرهم الدّينية ، وتنمي لديهم الميل إلى اللغة العربية والدراسات الإسلامية ، وما إلى ذلك .

3 ـ **إن تحقيق التعليم الجيد** أو التغيّر المرغوب في سلوك المتعلم الناشيء عن **نشاطه الذاتي ومشاركته الإيجابية** في العملية التعليمية هو الغاية الأساسية لعملية التدريس في أي مجال من مجالات التعليم وفي أية مادة من مواد المنهج الدراسي . وهذا يعني أن المقياس لنجاح طريقة التدريس وعملية التدريس هو **تحقيق التعلّم الجيد والتغيّر المرغوب في سلوك المتعلم** .

4 ـ إن نشاط التدريس هو نشاط هادف ومتعدد الجوانب ، فهو يهدف إلى تحقيق التعلم المرغوب ويشمل العديد من أوجه النشاط لتحقيق هذا التعلم المرغوب من بين هذه الأوجه للنشاط التي يشملها التدريس مفهومه الواسع : جذب انتباه التلاميذ واستمالتهم وإثارة اهتمامهم ودافعيتهم للتعلم وللمشاركة الإيجابية في العملية التعليمية ، والشرح ، والتوضيح ، والتفسير والوصف ، والتصوير ، وضرب الأمثلة والمقارنة ، والربط ، والاستقراء ، والقياس ، واستخلاص النتائج أو العبر والدروس الدينية والخلقية من الموضوع المدروس ، واستنباط القواعد الخلقية ، والنقاش والحوار وتوجيه الأسئلة ، والتدريب على ما تم استنباطه من القواعد العامة ، إلى غير ذلك من أوجه النشاط التي تدخل في مفهوم التدريس .

5 ـ إن عملية التدريس لا تتم دفعة واحدة ، بل تتم في تدرج وتسير في خطوات معينة تساير مسيرة العقل في عملية التفكير أو في حل المشكلات . من هذه الخطوات تلك الخطوات الخمس التي تضمنتها طريقة الفيلسوف والمربي الألماني المشهور « هربارت » وهي خطوة التمهيد ، وخطوة عرض الموضوع ، وخطوة المناقشة والموازنة ، وخطوة استنباط القاعدة العامة ، وخطوة التطبيق والتمرين على القاعدة التي تم استنباطها . والخطوات الثلاث التي تسير فيها طريقة تدريب الحواس التي اقترحتها الطبيبة والمربية الإيطالية الدكتورة ماريا منتسوري في أوائل هذا القرن والتي تقسم الدرس الى الخطوات التالية بالنسبة لحاسة البصر .

الخطوة الأولى : ربط المدرك الحس باسم الشيء الذي يراد من الطفل

ادراكه . فحين يراد من الطفل التمييز بين الألوان المختلفة كاللون الأحمر أو الأزرق، فإن اللّون المراد إدراكه وتمييزه يقرن بشيء محسوس يتوفر فيه هذا اللّون ، كأن يعرض على الطفل ، مثلاً ، بالنسبة للّونين السابقين قطعة من الطباشير الأحمر وأخرى من الطباشير الأزرق .

الخطوة الثانية : معرفة الشيء إذا ما ذكر اسمه ، وذلك كأن يطلب المدرس من الطفل أن يعطيه قطعة من الطباشير الأحمر أو الأزرق من بين قطع كثيرة متعددة الألوان ،

الخطوة الثالثة : استرجاع الاسم الخاص بالشيء الذي سبق للطفل أن عرف باسمه وذلك بأن يسأل المدرس الطفل : ماهذا ؟ فيجيب هذا أحمر أو أزرق .

واستخدمت منتسوري طرقاً مشابهة في خطواتها لهذه في تنمية بقية الحواس عند الأطفال .

وطريقة المشروع التي وضعها المربي الأمريكي « وليام كلباترك » والتي تسير في خطوات ثلاث رئيسية ، هي كالآتي :

1 ـ وجود الغرض .
2 ـ رسم الخطة .
3 ـ تنفيذ الخطة أو مرحلة الحكم[9] .

أما طريقة حل المشكلات التي وضعها المربي الأمريكي « جون ديوى » والتي تتفق إلى حد كبير مع المنهج العلمي في حل المشكلات ، فإنها تسير في خمس مراحل أو خطوات ، هي كالآتي :

1 ـ الشعور بالمشكلة الذي من شأنه أن يدفع الى التفكير والنشاط المتطلب لحلها .
2 ـ تحديد المشكلة وتوضيحها وتحديد أبعادها والظروف المحيطة بها .
3 ـ فرض الفروض المختلفة التي يظن أنها تؤدي إلى حل المشكلة .
4 ـ تقويم الفروض واختبارها واختيار الفرض أو الحل المناسب منها .

---

(9) ينظر : صالح عبد العزيز ، التربية وطرق التدريس (الجزء الثاني) ، (الطبعة الخامسة) القاهرة : دار المعارف ، 1963 ، ص 38— 120 .

5 ـ استنباط النتائج واستخلاص التعميمات والقواعد العامة والتطبيق الواسع لما تم استخلاصه من تعميمات وقواعد عامة[10] .

وهكذا يمكن القول بالنسبة لمختلف طرق التدريس والتعليم ، فإنها جميعاً تسير في خطوات متدرجة تقل أو تكثر .

جـ ـ بعض خصائص الطريقة الصالحة لتدريس اللغة العربية والدين الإسلامي :

وطريقة تدريس اللّغة العربية والدين الإسلامي مثلها مثل طريقة أية مادة أخرى تدرس في إطار التربية الإسلامية لها خصائصها المميّزة التي تجعل منها طريقة ملتزمة بمبادىء الإسلام وفي الوقت نفسه تأخذ بكل مظاهر التقدّم الحقيقي في طرق التدريس الحديثة ومن هذه الخصائص تمكن الإشارة إلى ما يلي :

1 ـ الاصطباغ بروح تعاليم الإسلام وأخلاقياته السامية ، فتؤكد معاني الصدق والأمانة والإخلاص والرحمة والشفقة ولين الجانب والأخذ بالحسنى ، وتتجنب العنف والقسوة والقهر والظلم وكل ما من شأنه أن يجرح كرامة التلميذ .

2 ـ الحرص على جعل العملية التعليمية عملية سارة ، تحدث الأثر الطيب في نفس المتعلم وتحبب إليه دراسة اللغة العربية والدين الإسلامي وقراءة ما يتصل بهما في أوقاته الحرة ، وتهيء له فرص التكيّف الذاتي السوي مع نفسه ومع زملائه وفرص بناء علاقات إنسانية جيدة وتكوين صداقة مثمرة مع زملائه ومدرسيه ، وتخلق في الفصل ككل جوا تعليمياً صالحاً خالياً من التوتر النفسي والتشاحن والبغضاء وروحاً معنوية عالية تشجع على زيادة التحصيل وبذل الجهود اللازم لذلك .

3 ـ تأكيد احترام شخصية المتعلم واحترام حريته ورأيه ورغبته الصادقة وميوله الناضجة والاعتراف بأهمية دوره في العملية التعليمية وأهمية الاستفادة من نشاطه الذاتي فيها . وبضرورة إثارة دافعية التعلّم لديه وتحميله جانباً كبيراً من مسئولية تعلّمه وبضرورة مراعاة استعداداته وقدراته ، بحيث لا يطرح عليه إلا ما هو مستعد له ويتناسب مع قدراته وإمكاناته .

---

(10) ينظر كتابنا : مناهج البحث الأجتماعي طرابس ليبيا : المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان ، 1971 ، ص 66 — 71 .

4 ـ المرونة والقابلية للتطور والتكيف حسب الظروف والإمكانات المتوفرة في مؤسسات التعليم ، وحسب سن التلاميذ ومستوياتهم الدراسية والتحصيلية والفروق الفردية بينهم في الاستعدادات والميول والقدرات وحسب طبيعة الفرع أو الموضوع الذي يجري تدريسه ، وحسب عدد التلاميذ وكثافة الفصل ، وحسب ما يستجد من ظروف وما تسفر عنه الأبحاث والدراسات والتطورات من نتائج في مجال طرق التدريس ووسائله وتقنياته .

5 ـ ربط الدراسة النظرية بالتطبيق العملي ، وربط الحفظ بالفهم والتفكير السليم وربط العربية بالضبط الذاتي والالتزام الخلقي وتقدير المسئولية وربط الكم بالنوع في المادة المعطاة ، بحيث يتوفر لها حسن الأختيار والتمشي مع استعدادات وميول وقدرات المتعلمين وأذواقهم ويتوفر لها التمرين والتدريب الضامنان للاتقان الذي يعد من أهم معايير العمل الجيد ويتوفر لها وضوح العبارة والمدلول ، لأن وضوح اللفظ والعبارة دليل على وضوح فكر صاحبهما ، واللفظ الذي ليس له مدلول واضح كالظرف الخالي الذي يتوهم أن فيه شيئاً مع أنه خال .

د ـ أنواع الطرق المناسبة لتدريس اللغة العربية والدين الإسلامي :

وتدريس اللغة العربية والدين الإسلامي ليس له طريقة واحدة محددة ، بل له طرق كثيرة متعددة قديمة وحديثة ، يستطيع مدرس اللغة العربية والدين الإسلامي أن يختار من بينها ما يناسب سن تلاميذه والمرحلة الدراسية التي يمر بها والفروق الفردية بينهم ، وطبيعة الفرع والموضوع الذي يقوم بتدريسه ، والغرض الذي يرمي إلى تحقيقه من وراء تدريسه ، وحجم الفصل الذي يدرس فيه إلى غير ذلك من العوامل والاعتبارات التي تتنوع طرق التدريس بتنوعها .

فالمهم أنه ليس هناك طريقة تدريس واحدة تنفع لجميع الأعمار وجميع مراحل النمو ولجميع مراحل التعليم ، ولجميع المستويات العقلية والتحصيلية ، ولجميع فروع اللغة العربية والدراسات الإسلامية ولجميع الموضوعات حتى في الفرع الواحد ولجميع الاغراض التعليمية التي يرمي الى تحقيقها المعلم والمتعلم ولجميع الأحوال والظروف والعوامل الأخرى المحيطة بالعملية التعليمية والمؤثرة فيها . وليس هناك من سبيل لفرض طريقة خاصة معينة على مدرس اللغة العربية والدين الإسلامي بل ينبغي أن تترك له الحرية الكاملة ليختار في تدريسه الطريقة المناسبة التي تأخذ في

الاعتبار الاعتبارات السابقة ، وتحقق أكبر وأفضل قدر ممكن من التعلّم لدى المتعلم بأقل جهد ممكن من المعلم والمتعلم. وفي إمكان مدرّس اللغة العربية والدين الإسلامي أن يختار عناصر طريقته من أكثر من طريقة واحدة وأن يجمع بين طريقتين فأكثر في الدّرس الواحد .

وإذا كنا في هذه العجالة لا نستطيع الإشارة إلى جميع طرق التدريس التي يمكن أن يستخدمها ويستفيد منها مدرس اللغة العربية والدين الإسلامي والتي قد تصل إلى أكثر من ستين طريقة ، فإنه لا أقل من الإشارة الموجزة الى أهمها ، فيما يلي :

1 ـ **الطريقة الاستقرائية** : أو الاستنباطية التي يبدأ فيها البحث عن الجزئيات للوصول منها إلى قاعدة عامة أو حكم عام ، فيورد المعلم المطبق لها بعض الأمثلة التي تتمثل فيها القاعدة اللغوية أو يتحقق فيها الحكم الشرعي أو يطلب من تلاميذه أن يأتوا بمثل هذه الأمثلة إن كانت لهم الخلفية التي تمكنهم من ذلك ، ثم يلفت نظرهم الى ملاحظة أوجه الشبه بينها ، بحيث ينتهون إلى استنباط القاعدة من الأمثلة المذكورة . وبعد الانتهاء من استنباط القاعدة يأتي دور التدريب والتمرين عليها لتثبيتها في أذهان التلاميذ ويمكن تطبيق هذه الطريقة في تدريس النحو العربي والبلاغة العربية والفقه الإسلامي ، وما إلى ذلك .

2 ـ **الطريقة القياسية** التي هي في حقيقة أمرها على عكس الطريقة الاستقرائية ، حيث إن الأنتقال في هذه الطريقة يتم من العام الى الخاص ومن الكليات إلى الجزئيات، بحيث يبدأ المعلم المطبق لهذه الطريقة بعد التمهيد بذكر وتوضيح وشرح القاعدة النحوية أو البلاغية أو الفقهية أو الأصولية ، ثم يسوق الأمثلة والشواهد التي تبين القاعدة المذكورة وتوضحها عملياً ، ثم يختم بإيراد بعض الأمثلة والشواهد أو المسائل لتدريب التلاميذ على تطبيقها .

3 ـ **طريقة المحاضرة** التي تعتبر هي الأخرى من طرق التدريس العامة القديمة التقليدية التي يمكن أن يطبقها مدرس اللغة العربية في تدريس معظم فروع وموضوعات اللغة العربية والدين الإسلامي ، وبخاصة في مراحل التعليم المتوسطة والثانوية والعالية ومع كبار السن من الطلاب القادرين على إدراك المعاني المجرّدة وفهم محتويات الإخبار اللفظي على الانتباه لمدة طويلة وعلى تلخيص الأفكار بعد فهمها .

4 **الطريقة الحوارية** أو طريقة الحوار والمناقشة التي لها أصولها القديمة في

الفلسفة اليونانية والفلسفة الإسلامية والتربية والتي لا تزال تستعمل في المدارس والجامعات الحديثة حتى في أرقى البلدان المتقدمة ، لكن بعدتحويرها وتخليصها من شكليات الحوار والمناظرة القديمة ، بحيث أصبحت أقرب إلى حلقة النقاش المستديرة التي يتناقش ويتحاور الطلاب فيها وجها لوجه في شكل دائرة ، تحت قيادة وتوجيه أستاذهم أو معلمهم .

5 ـ وهناك طرق عامة أخرى كثيرة يمكن أن تستعمل بشكل أو بآخر في تدريس اللغة العربية والدين الإسلامي ، وذلك مثل طريقة اللعب التي يمكن أن تستخدم في تعليم اللغة العربية بالذات للأطفال الصغار ، وطريقة حل المشكلات التي سبقت الإشارة إليها والتي يمكن أن تستخدم في تدريس كثير من القضايا والمشكلات الثقافية والاجتماعية والدينية مثل مشكلة تخلّف المسلمين وضعفهم وفرقتهم وتمزقهم ، وقضية إعادة توحيد المسلمين وتحقيق تضامنهم وتعاونهم وتكاملهم . ومن هذه الطرق أيضاً طريقة المشروع التي سبقت الإشارة اليها أيضاً والتي يمكن استخدامها في تعليم كثير من موضوعات اللغة العربية والدين الإسلامي والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي ، بحيث يتاح للتلاميذ أن يختاروا موضوعاً من هذه الموضوعات . في شكل مشروع فردي أو جَمْعِي ، ثم يبدأ التلاميذ في القراءة عنه من مختلف المراجع ثم مناقشته ما تحصلوا عليه نتيجة لقراءتهم ، إن كان مشروعاً جَمْعياً والاتفاق على خطة وترتيب وتنظيم وكتابة تقرير عنه .

ومن هذه الطرق العامة أيضاً طريقة التعيينات التي تنسب إلى المربية الأمريكية الآنسة « هيلين باركهرست » التي كانت كرد فعل ضد طرق التعليم الجمعية ، وطريقة البرمجة أو التعليم المبرمج التي أيدها عالم النفس الأمريكي المشهور « سكنر » Skinner وغيره من المربين ، والتي تعتبر هي الأخرى من الطرق الفردية والتي أثبتت جدواها في مواجهة الفروق الفردية بين التلاميذ وفي تعويد التلميذ على تحمّل جانب كبير من مسؤولية تعليم نفسه وعلى الاعتماد على نفسه وعلى تنظيم وقته ، وما إلى ذلك .

6 ـ وهناك العديد من الطرق الخاصة لتدريس مختلف فروع اللغة العربية وفروع الدراسات الإسلامية وذلك مثل الطريقة التركيبية أو الجزئية التي تستخدم في تعليم القراءة للمبتدئين والتي تبدأ بتعليم الحروف الهجائية وأصواتها للاطفال ثم ينتقل بهم إلى نطق الكلمات التي تتكون من حرفين أو أكثر ثم إلى الجمل . والطريقة

التحليلية التي هي على عكس الطريقة التركيبية ، تبدأ بتعليم الكلمات أولاً ثم الأنتقال منها إلى الحروف والطريقة المزدوجة أو الطريقة التركيبية والتحليلية التي تجمع بين الطريقتين السابقتين وتحاول أن تأخذ بمزاياهما وأن تتجنب عيوبهما . ومن عناصر وخصائص هذه الطريقة المزدوجة أنها تقدم إلى الأطفال وحدات معنوية كاملة للقراءة ، أي تقدم لهم كلمات ذات معان ، وبهذا ينتفعون بمزايا طريقة الكلمة ، كما أنها تقدم جملاً سهلة تتكرر فيها بعض الكلمات . وبهذا ينتفعون بمزايا طريقة الجملة . وهي تعنى بتحليل الكلمات تحليلاً صوتياً لتمييز أصوات الحروف وربطها برموزها وفي هذا تحقيق لمزايا الطريقة الصوتية . وهي تتجه عن قصد الى معرفة الحروف الهجائية إسماً ورسماً . وبهذا تتحقق فيها مزايا الطريقة الأبجدية[11] .

ومن هذا الطرق الخاصة أيضاً طريقة السماع أو الاستماع وطريقة القراءة وطريقة الإملاء وطريقة الحفظ أو الاستظهار التي لا تزال رغم قدمها ـ مستعملة حتى الآن ، بل ومفيدة في تعلّم اللغات غير اللغة الأم ، ومنها اللغة العربية لغير الناطقين بها وفي قراءة القرآن وحفظه وترتيله وتجويده والتأكّد من حسن أدائه .

4 ـ المبادىء والمرتكزات العامة التي ينبغي أن تقوم عليها طرق تدريس اللغة العربية والدين الإسلامي

وفي إطار ما تقدم من بيان موجز لأهمية اللغة العربية والدراسات الإسلامية ولأهم أهداف هاتين المادتين أو المجالين من مجالات التربية الإسلامية ، ولأهمية ومفهوم وخصائص وأبرز أنواع طرق التدريس الملائمة لهاتين المادتين ، وفي ضوء ما نعرفه من مبادىء وقوانين التعلّم البشري التي كشفت عنها الدراسات والبحوث العلمية في مجال علم نفس التعلّم والتي يمكن استخلاصها من مختلف النظريات الحديثة لتفسير التعلّم البشري ، فإنه يجدر بنا أن نشير إلى بعض المبادىء والمرتكزات التي ينبغي أن تقوم عليها طرق تدريس اللغة العربية والدين الإسلامي والتي تمثل صلب فلسفة هذه الطرق ، حسب التعريف البسيط الذي اتينا به بالنسبة لهذه الفلسفة في بداية هذه الورقة وأهم هذه المبادىء والمرتكزات ما يلي :

---

(11) محمد مجيد إبراهيم دمعة وآخرون ، اللغة العربية وأصول تدريسها لدورات المعلمين التدريبية ، بغداد ، العراق : وزارة التربية ، مديرية تدريب المعلمين 1977 . 23 - 28 .

1 ـ ضرورة جذب انتباه المتعلم وإثارة رغبته في التعلّم وتحريك دافعيته للتعلّم ، لان تحريك هذه الدافعية من شأنه أن يجعل المتعلّم أكثر إقبالاً على التعلم وأكثر نشاطاً فيه وأكثر مقاومة للتعب وأقل تعرضاً للكلل والملل . ولا جدوى من التدريس إذا فشل في إثارة دوافع المتعلّم ورغبته واهتمامه بالموضوع الذي يجري تدريسه سواء أكان في مجال اللغة العربية والدين الإسلامي أو في أي مجال آخر من مجالات المعرفة الإنسانية .

وقد كان هذا المبدأ مراعىً من قبل المربين المسلمين . وقوة الدافع للتعلم هي التي كانت تجعل الطالب المسلم يجدّ ويكد ويتحمل مشاق طلب العلم ، حتى إنه كان يقطع المسافات الطويلة في سبيل الحصول على العلم المرغوب من مظانه ومصادره . ومما كان يستند إليه المربون المسلمون في تأكيدهم لأهمية الدافع والرغبة في عمليّة التعلّم : قول الإمام علي رضي الله عنه : « إن للقلوب شهواتٍ وإقبالاً وإدباراً ، فأتوها من قبل إقبالها ، فإن القلب إذا كره عمى » .

ب ـ ضرورة أن يكون للمتعلّم هدف نبيل واضح يسعى إلى تحقيقه من وراء دراسته للغة العربية والدين الإسلامي ، يكون مسانداً للاهتمام والرغبة والدافع في دفع المتعلم إلى بذل الجهد الدائم والتحمّس المستمر لتعلّم اللغة العربية والدين الإسلامي ، ومن واجب مدّرسه أن يساعده على تحديد أغراضه وأهدافه من تعلّم هذين المجالين من مجالات العلم والدراسة ، بما يحقق مصالحه ويشبع حاجاته الآجلة والعاجلة ، ويرضي ربه ويتمشى مع تعاليم دينه وتوجيهاته السامية بخصوص الغايات النبيلة والأغراض المشروعة من طلب العلم عموماً وطلب اللغة العربية والدين الإسلامي على وجه الخصوص .

ومن الأغراض النبيلة لطلب العلم في هذين المجالين والتي ينبغي لطالب العلم أن يختار من بينها، أن تساعده دراسته فيهما على تيسير قراءته للقرآن الكريم في نصه العربي الذي أنزل به من عند الله ، وتيسير فهم معانيه وبعض جوانب إعجازه اللفظي والمعنوي من نصّه العربي المباشر ، وفهم أحكام دينه ، وبناء عقائده الدّينية ، وإقامة شعائره الدينية على أسس صحيحة ، وتزكية نفسه وتهذيب أخلاقه على أساس قويم وفهم سليم للدين الإسلامي ، والوصول الى العلم النافع في الدّين والدنيا ، ونفع الناس وهدايتهم بعلمه ، امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون

الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾ (آل عمران)، ولقوله جل شأنه ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ (سورة التوبة آية 122) . وقوله تعالى ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ (القصص 77) . وقوله تعالى : ﴿ وقل ربِّ زدني علماً ﴾ (طه : 114). إلى غير ذلك من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبويّة الشريفة وآثار السلف الصالح التي توجه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة الى الغايات والأغراض الصالحة من التعلّم وطلب العلم .

حـ ـ ضرورة مراعاة مستوى النضج العقلي والفكري الذي وصل إليه المتعلم ودرجة استعداده للتعلم ، بحيث لا يقدم له المعلم من المعارف والحقائق والأفكار اللّغوية والدينية إلا ما يتمشى مع سنه ومستوى نضجه العقلي ومستوى تحصيله وخلفيته السابقة في اللغة العربية والدّين الإسلامي ومستوى قدرته العقلية ولا يخاطبه الا بما تتسع له مداركه ، ويحاول التدرّج معه من المستوى الذي هو فيه إلى ما هو أرقى ، ومن المعلوم الى المجهول ، ومن المحسوس إلى المعقول ، ومن السهل إلى الصعب ، مسترشداً في ذلك بآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وآثار السلف الصالح والمربين المسلمين القدماء والمربين المحدثين الذين أكدوا على ضرورة مراعاة هذا المبدأ .

يقول تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ (سورة البقرة : 286) ويقول ﷺ : « نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم ». ويقول ﷺ أيضاً : « ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة » (رواه مسلم) . ويقول ﷺ أيضاً : « كونوا كالطبيب الرفيق بضع الدواء موضع الداء ».

ويقول المربي والفيلسوف الأخلاقي المشهور ابن مسكويه في هذا الخصوص أيضاً : « إن العلم يجري من النفس مجرى القوت من البدن ، إذا كان كمال كل واحد منهما وبقاؤه هو ما يقيم ذاته ، ويتم صورته ، ويزيد في قوته ، وكما أن البدن الضعيف إذا كثر عليه الغذاء وكانت كيفيته قوية لم يحتمله ولم يهضمه صار وبالاً عليه واعتل منه ، وربما كان سبب هلاكه ، فكذلك حال النفس فيما يلقى إليها من العلم ، ليكون تدبيرنا فيه شبيهاً بما ندبّر به الطفل ، من تدريجه باللّبن الى أكل لحم

البقر على مهل في زمان طويل . ولو هجمنا به على الأغذية الغليظة كلها لكانت سبب هلاكه »[12] .

د ـ ضرورة مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين في خصائصهم وحاجاتهم واستعداداتهم وقدراتهم وميولهم في أخلاقهم ومعادنهم وظروفهم المعيشية والحياتية ، وذلك فيما يقدم لهم من مادة دراسية وفي طريقه التدريس التي تتبع معهم وفي معاملتهم وتوجيههم . وقد كان هذا المبدأ مراعىً تمام المراعاة في التربية الإسلامية . وهناك الكثير من الشواهد التي تؤكد ضرورة مراعات وتدل على أنه كان مراعى بالفعل ، فمن ذلك :

قوله ﷺ : « أمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم » (ذكره صاحب كشف الخفاء) وقوله ﷺ : « الناس معادن في الخير والشر » (ذكر أيضاً في المصدر السابق) ، وقول أبي حيّان التوحيدي : « إن الناس في العلم ثلاث درجات : فواحد يلهم فيتعلم فيصير مبدعاً والآخر يتعلم ويلهم ، فهو يؤدي ما قد حفظ ، والآخر يجمع له بين أن يَلْهُم وأن يتعلم فيكون بقليل ما يتعلم مكثراً بقوة ما يلهم »[13] .

وقول عبد الباسط العلمي في هذا الخصوص أيضاً : ويُفهمّ (أي المعلم) كل واحد بحسب فهمه ولا يبسط له الكلام بسطاً لا يضبطه ولا يقصر به عما يحتمله بلا مشقة ويخاطب كلاّ على قدر درجته وفهمه وهمته فيكتفي للحاذق بالإشارة ويُوَضّح لغيره بالعبارة ويكررها لمن لا يفهمها إلا بتكرار ، ويبدأ بتصوير المسألة ثم يوضحها بالأمثلة ويقتصر على ذلك من غير دليل ولا تعليل ، فإن سهل عليه الفهم فيذكر له الدليل والتعليل والمأخذ منه والمدرك ، ويبيّن الدليل المعتمد ليعتمد والضعيف لئلا يغتر به ويعتقد ، ويبين أسرار حكم المسألة وعللها وتوجيه الأقوال » . .[14] .

هـ ـ ضرورة جعل العملية التعليمية عملية سارة ومحدثة للأثر الطيّب في نفس

---

(12) أبو علي أحمد محمد مسكويه، الفوز الأصغر (تحقيق د . عبد الفتاح أحمد فؤاد) بنغازي ، ليبيا ، دار الكتاب الليبي ، 1974 ، ص 98 — 99 .

(13) أبو حيان التوحيدي كتاب الامتاع والمؤانسة « الجزء الثاني » تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين بيروت : المكتبة العصرية : ص 43 .

(14) عبد الباسط العلوي المعيد في أدب المفيد المستفيد . دمشق سوريا : المكتبة العربية 1349 هـ ص 48 — 49 .

المتعلم ، ليقبل على التعلّم ويزيد من نشاطه الـذاتي ومشاركتـه الإيجابيـة في العملية التعليمية . ومما يساعد المعلم على تحقيق هذا المبدأ الذي أهميته التربية الإسلامية كما أكدها علم نفس التعلّم الحديث والتربية الحديثة : أن يعامل تلاميذه بالحسنى والرفق واللّين والرحمة والحلم وأن يشجع ويقدر المحسن منهم ويعفو عن المذنب منهم ، وأن يراعي حاجاتهم ومصالحهم وظروف كل منهم ، وأن يمنحهم ثقته ، وأن يسمح لهم بحرية السؤال وإبداء الرأي والمناقشة ، وأن يتجنب في معاملتهم كل مظاهر القسوة والقهر والتكبّر والتجبر وكل ما من شأنه أن يضر بالجو النفسي والاجتماعي السائد في الفصل وبالعلاقات السائدة بينه وبينهم .

ومن النصوص والآثار الإسلامية التي يستند إليها المربي المسلم في تأكيده لهذا المبدأ الهام في أي تعليم مفيد مثمر .

قوله تعالى : ﴿ أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعـظة الحسنة وجـادلهم بالتي هي أحسن ﴾ (النحل) .

وقوله تعالى : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤُف رحيم ﴾ (التوبة : 128) .

وقوله تعالى : ﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ ولو كنت فـظاً غليظ القلب لانفضـوا من حـولك ، فـاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ﴾ (آل عمران : 159) .

وقـولـه ﷺ : « إن من أحب الأعمـال إلى الله إدخـال السـرور عـلى قلب المؤمن » .

وقـولـه ﷺ : « إن الـرفق لا يكون في شيء إلا زانـه ولا ينـزع من شيء إلا شأنه» .

وقوله ﷺ : « علموا ولا تعنفوا ، فإن المعلم خير من المعنف» .

وقوله ﷺ : « لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه » .

ومما قاله ابن خلدون في مقدمته في هذا الخصوص :

« إن الشدة على المتعلمين مضرة بهم ، وذلك أن إرهاف الحد في التعليم مضر بالمتعلم سيما في أصاغر الولد . . ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين . . سطا به القهر ، وضيق على النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ، ودعاه الى الكسل ؛ وحمل على الكذب والخبث ، وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه ، وعلمه المكر والخديعة ، وصارت له هذه عادة وخلقا ، وفسدت المعاني الإنسانية التي له من حيث الإجتماع والتمرن ، وهي الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله ، وصار عيالاً على غيره في ذلك[15] .

و ـ ضرورة حرص المعلم على مساعدة تلاميذه على الفهم ، وإدراك العلاقات والروابط المتضمنة في الخبرة التعليمية ، وعلى النظرة الشمولية والتكاملية لأية مشكلة أو قضية يدرسونها وعلى أصالة التفكير واستقلاليته ، لأنه بدون الاهتمام بهذه الأمور لا يتحقق التعلّم الصحيح ولا الخبرة السليمة ، وقد أدرك المربون المسلمون الأولون أهمية الفهم والتفكير وما يرتبط بهما من إدراكٍ للعلاقات والإرتباطات الأفقيه بين عناصر الموضوع الواحد أو الخبرة التعليمية الواحدة ، وإدراك للترابط الرأسي في الخبرة التعليمية ، بحيث تصبح الخبرة السابقة للتلميذ مرتبطة بخبرته الحاضرة وتمهيداً لها ، وبحيث تصبح الخبرتان (السابقة والحاضرة) مساعدتين له على اكتساب خبراته المقبلة ، وبذلك يتحقق الارتباط والاستمرار في الخبرة التعليمية . **وليساعدوا تلاميذهم على الفهم وإدراك العلاقات والإرتباطات في الموقف التعليمي وعلى التفكير المنظم والمستقبل، ، اهتموا في تدريسهم بعوامل التنظيم والترتيب والتنسيق فيما يقدمونه لتلاميذهم** من موضوعات وما يهيئونه لهم من مواقف تعليمية، كما اهتموا أيضاً بربط محتوى مادة تدريسهم **وما يضربونه أثناء درسهم من أمثلة ببيئة المتعلّم وقضاياه المباشرة** وقضايا المجتمع والعصر اللذين يعيش فيهما. وهذا الأسلوب والالتزام بهذا المبدأ هو ما يجب أن يتبعه **معلم اللغة العربية والدّين الإسلامي في** الوقت الحاضر، فعليه أن **يواصل تعليمه وتثقيف نفسه باستمرار** ولا يكتفي أبداً بما حصل عليه من علم مهما كان قدره ، امتثالاً لقول ربه عزّ وجلّ : ﴿ وقل رب زدني علماً ﴾(سورة طه : 114) ولقول نبيه ﷺ : « اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد » . كما عليه **أن يعمل بما علم، وأن ينتفع بما تعلّم** في تدريسه ويلم بمشكلاته مجتمعه

---

(15)عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، مقدمة ابن خلدون الجزء الرابع ، الطبعة الثانية ، تحقيق : د . علي عبد الواحد الوافي ، القاهرة ، لجنة البيان العربي 1968 ، ص 1363 — 1364 .

وقضايا عصره وزمانه وأن يربط ما يقدمه لتلاميذه من شواهد ونصوص في تدريسه للغة العربية ـ مثلاً ـ بحياة التلاميذ الحاضرة وبحضارة العصر الذي يعيشون فيه ، لأن التلميذ لا يريد أن يضيّع وقته في تعلّم لغة لا تحمل إليه حضارة العصر الذي يعيش فيه ولا تحمله إليها وأن يخلّص الطريقة التي يتبعها في تدريس الموضوعات اللّغوية والدّينية من الشكلية والجمود واللفظية والحفظ والاستظهار دون فهم أو إدراك ، ومن حشو أذهان تلاميذه بمعلومات نظرية لا ترتبط بحياتهم ينسونها بعد مغادرتهم الفصل أو خروجهم من المدرسة ، وأن ينظر إلى اللغة العربية كغيرها من اللغات على أنها منهج تفكير قبل أن تكون وسيلة تعبير، وأن يفتح أمام تلاميذه باب النقد والتفكير والابتكار والمناقشة والمقارنة والتحليل والتعليل ، وأن يجدد ويطوّر باستمرار في مادته وطريقة تدريسه لتناسب أذواق الأجيال الحاضرة ومبادىء التربية الحديثة ، وأن يتخلص من تعقيدات الكتب القديمة ، وأن يبتعد بقدر الإمكان عن الخلافات النحوية والمذهبية ومماحكات المنطق ، وأن يلتزم القول المشهور والموقف الوسط فيما يعرضه ويقدمه إلى تلاميذه ، وأن يقدم الإسلام على حقيقته الناصعة الواضحة الشاملة لكافة جوانب النفس البشرية ولكافة جوانب الحياة والكون والبشرية قاطبة ، حيث إن الإسلام لا يفصل بين الجسم والعقل والروح ولا يفصل بين الحياة الروحية والحياة الاجتماعية والحياة السياسية ولا بين التقدم المعنوي والمادي . إنه النظام الكامل الشامل الذي يدعو الى التطور والتقدم والتفتح والتسامح والحرية والعدل والمساواة ، وإلى العمل والانتاج وكل مظاهر القوة المادية والمعنوية[16] . وإذا وجد في بلاد الإسلام غير هذا ، فإنه ليس من الإسلام في شيء بل من المسلمين الذين تخلفوا عن الإسلام وابتعدوا عنه وفقدوا الفهم الصحيح لروحه ، فحجبوا ما فيه من معان سامية وقيم فاضلة بسوء فهمهم وبسوء أحوالهم وتصرفاتهم . يقول الإمام محمد عبده في هذا الصدد : « إن المسلمين حجبوا الإسلام بالإسلام ، فقد تفرقوا احزاباً وشيعا ، وذهبوا طرائق متباينة ، والتمس كل فريق منهم وسيلة من الإسلام يؤيد بها الصورة التي زيفها منه . . »[17] .

والمربي المسلم يجد في قرآنه وسنّة نبيّه وتراث سلفه الصالح عشرات النصوص

---

(16)ينظر : د . سعيد اسماعيل علي ، فلسفة التربية الإسلامية . 1984 ، ص 101 ـ 126 .

(17)كما نقله : د . زيدان عبد الباقي ، علم الاجتماع الاسلامي ، القاهرة مطبعة السعادة ، 1984 ، ص 175 — 176 .

والشـواهد التي تـدعوه إلى الفهم والـربط والتفكير والتـدبير والـطلب المستمر للعلم والعمل بما علم وإلى التفتّح على كل تجربة صالحة ومعرفة نافعة وإلى العدل والمساواة والتسامح والعمل والإنتاج والسعي والكفاح في هذه الحياة والتقدم والتطوّر والتجديد وتخليص الدين من البدع والأهواء والتقاليد البالية التي لا تمت إليه بشيء ولا يتسع المقام لذكر مثل هذه النصوص والشواهد .

ز ـ ضـرورة تهيئة فـرص الممارسـة العملية والتـطبيق المتكرر لمـا تمت دراسته نظريا ، وضرورة تشخيص المعاني المجردة وتوضيحهـا حسيا ، وضـرورة التزام المعلم بتوفير القدوة الحسنة من نفسه والالتزام بما يعلمه ويدعو إليه من قواعد لغوية وتعاليم دينية وقيم وفضائل خلقية ، لأن كل ذلك من شأنه أن يحقق التعلّم المنشـود والتغيّر المرغوب في سلوك التلاميذ اللغوي والروحي والخلقي الذي يعتبر المقيـاسِ الحقيقي لتحقيق التعلّم المنشود ، حيث إنه لا قيمة لأي جهد تربوي لا ينتج عنه تغيّر مرغوب في السلوك يتجـاوز التغيّر المعـرفي النظري إلى التغـيّر المهاري والاتجـاهي وإلى بنـاء الاتجاهات والمهارات والعادات اللغوية والدينية والخلقية الراسخة لدى المتعلم ، ولا قيمة لمعرفة لغوية أو دينية لا تقود إلى بناء اتجاه ومهارة وعـادة تدعمهـا وتترجمهـا إلى واقع ، وإلى عمل يتطابق معها وإلى معرفة أرقى وأعمق وأوسع منها ، وإلى مزيد من الاطلاع وإلى تفكير أنضج وفهم أعمق .

وليحقق التعليم اللغوي والديني التغـير المرغـوب في سلوك المتعلم ، لابد أن يكثر من التمرينات والتطبيقات المتنوعة ، وأن يترجم الى ممارسات عملية وإجراءات سلوكيـة وحياة يعيشهـا الإنسان ، وأن يكـرر المعنى الواحـد أكثر من مـرة في صور وأشكـال متنـوعـة لتثبيت المعنى وتـرسيـخ الفكـرة في ذهن المتعلم ، وأن يكـثر من التشبيهات الحسية ومن استعمـال الوسـائل السمعيـة والبصريـة والتقنيات المختلفـة المناسبة لموضوعاته والتي من شأنها أن تساعد على توضيح الأمور المعنويـة وتشخيص الأفكـار المجردة ، وأن يهتم بتـوفير القـدوة الحسنة ، والمثـل الحي الـطيّب لتعـاليم الإسلام والالتزام بمبادىء اللغة وقواعدها والوسط الصالح من الرفاق والمعلمين وكل من في المدرسة والرفقة الطيّبة ، حيث إن المحيطين بالإنسان إن كانوا أخياراً دفعوه إلى الخير ، وإن كانوا أشراراً دفعوه إلى الشر .

وهذا المبدأ المتعدد الجوانب والفروع الذي نادت به التـربية الحـديثة في مجـال

التدريس بعامة وفي تدريس اللّغة العربية والدين الإسلامي بخاصة ، قد سبق للمربين المسلمين أن نادوا به أيضاً وأكدوا أهمية مراعاته في عمليات التعليم والتدريس وطبقوه عمليا في تعليمهم وتدريسهم . وكان سندهم في التمسك بهذا المبدأ آيات قرآنهم الكريم وسنّة نبيهم العظيم محمد ﷺ وآثار سلفهم الصالح التي أكدت ضرورة ربط الإيمان والقول والعلم بالعمل والتطبيق العملي في مواقع الحياة، ولجأت إلى توضيح الأمور المعنوية والأفكار بتشبيهات وأمثلة ووسائل حسية، وأكدت أهمية التكرار في تثبيت المعلومات وبناء المهارات والاتجاهات والعادات ، ونادت بأهمية القدوة الحسنة والرفقة الطيبة والوسط الصالح، واهتمت بأهمية تغيير السلوك واعتبرته أمراً ممكناً .

ومن هذه الآيات القرآنية وآثار السنّة النبوية القولية وأقوال السلف الصالح تمكن الإشارة الموجزة الخالية من الشرح والتعليق إلى ما يلي :

قوله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً ، وقال إنني من المسلمين ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً ﴾ . (الكهف : 3) .

وقوله تعالى : ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً : كلمة طيبة كشجرة طيبة ، أصلها ثابت وفرعها في السماء ، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ، ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة ، اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار﴾ (سورة إبراهيم : 24 ـ 26) .

وقوله تعالى : ﴿ وذكّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ (سورة الأحزاب : 21) .

وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عندالله أن تقولوا مالا تفعلون ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ ويوم يعض الظالم على يديه ، يقول : يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً ، يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً ، لقد اضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً ﴾ (سورة الفرقان : 27 ـ28) .

وقوله تعالى : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ﴾ (سورة البقرة) .

وقوله تعالى : ﴿ والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكداً ﴾ (سورة الأعراف : 58) .

وقوله تعالى : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم ﴾ (سورة الرعد : 11) .

وقوله ﷺ : « قل آمنت بالله ثم استقم » .

وقوله ﷺ : ﴿«ما في معناه »« ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل » .

وقوله ﷺ : ﴿«لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن علمه ماذا عمل فيه ، وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيما أنفقه ، وعن جسمه فيما أبلاه » (ذكره البغدادي في اقتضاء العلم للعمل) .

وقوله ﷺ : « إنك لن تكون عالماً حتى تكون متعلّماً ، ولن تكون متعلّماً حتى تكون بما علمت عاملاً » (ذكرى البغدادي في المرجع السابق) .

وقوله ﷺ : « من عمل بما علم ورّثه الله علم مالا يعلم » .

وقوله ﷺ : « طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله » .

وقوله ﷺ : « كل علم وبال على صاحبه من إلا من عمل به »

وقوله ﷺ : « لا تصحب الفاجر فتتعلّم من فجوره » .

وقوله ﷺ : « إياك وقرين السوء » .

وقوله ﷺ : « الرجل على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل» (المستدرك على الصحيحين) .

وقوله ﷺ : « لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي» (رواه أبو داود في سننه) .

وروى الإمام أحمد في مسنده عن الشعبي عن جابر قال : « كنا جلوسا عند النبيّ ﷺ، فخط خطّاً هكذا أمامه فقال: «هذا سبيل الله»، وخطين عن يمينه وخطين عن شماله ، وقال : « سبيل الشيطان » ، ثم وضع يده في الخط الأوسط ، ثم تلا هذه الآية ﴿ وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله ، ذلك وصّاكم به لعلكم تتقون ﴾ .

5 ـ بعض الأقتراحات والتوصيات العامة لتدعيم تدريس اللغة العربية والدين الإسلامي :

وفي ختام هذا المقال ، يجدر بنا أن نتقدم ببعض التوصيات العامة التي قد تفيد في تدعيم تدريس اللغة العربية والدين الإسلامي في البلدان الإسلامية. وهذه التوصيات مستمدة من الأهداف والمبادىء السابقة ومن بعض المشكلات وجوانب الضعف التي نلاحظها في مناهج وكتب وتدريس اللغة العربية والدين الإسلامي في بعض الأقطار العربية والتي نرجو الا يكون لها وجود في البلدان الإسلامية وهي كما يلي :

1 ـ تيسير تعليم اللّغة العربية بالذات على الأطفال والشباب المسلمين بقدر الإمكان والاستفادة في ذلك بنتائج الأبحاث العلمية التي أجريت في هذا الخصوص وبتجارب البلدان الإسلامية غير الناطقة بالعربية في تعليم اللغة العربية . ولتحقيق هذه الغاية ينبغي عمل ما يلي :

(أ) تبسيط كتب القراءة واتباع أحدث الطرق والأساليب المتبعة في تدريسها كالطريقة المزدوجة التي سبقت الإشارة إليها مع التعرف على خطواتها والشروط اللازمة لنجاحها والاستفادة من الوسائل التعليمية الحديثة ، ومن المعامل اللغوية بالذات في تدريب الطلاب على النطق الصحيح للحروف والكلمات العربية وعلى القراءة المعبرة عن معاني الألفاظ والكلمات والجمل المقروءة .

(ب) وقد يكون من المفيد وبخاصة في المستويات التعليمية الأولى ، توحيد فروع اللّغة العربية والالتزام بتكاملها والربط بينها في وحدة عضوية وتقديمها في شكل نصوص عربية وإسلامية متكاملة تتوفر فيها جودة الاختيار من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والمأثور من كلام السلف الصالح والأدب العربي الرفيع

كما تتوفر فيها الملاءمة مع عمر التلاميذ ومستوياتهم التعليمية ورصيدهم اللغوي والمعرفي ، وخلفياتهم السابقة في مجال اللغة العربية والربط بين إعراب الكلمات ومعانيها .

(حـ) الاقتصار على الضروري من قواعد النحو والبلاغة التي يحتاجها الطالب المسلم بالفعل لقراءة وفهم القرآن الكريم وقراءة ما يحتاج إليه في تأدية فرائضه وشعائره الدينية ، وتجنّب دراسة الخلافات والمماحكات النحوية والأبواب النحوية التي لا يحتاجها في تقويم لسانه وقلمه ، وبذلك يصبح تدريس النحو والبلاغة وظيفياً يقف عند تدريس الموضوعات والأبواب التي يحتاجها الطالب المسلم بالفعل .

(د) استخدام كتب جيدة في مضمونها وشكلها وطريقة عرضها لموضوعاتها تناسب أذواق الأجيال الحاضرة وتتخلص من تعقيدات الكتب القديمة وتقديم المادة اللغوية المناسبة لمستويات التلاميذ ، وتحسن اختيار مفرداتها وتشكل هذه المفردات في المراحل الأولى ، وتعتمد التكرار أسلوباً في تعليم المفردات والتراكيب مع تغيير المواقف : فتأتي بالمفردات الجديدة في تراكيب مألوفة والمفردات المألوفة في تراكيب جديدة ، وتكثر وتنّوع في التمرينات والتدريبات اللغوية وتقدّم فهرساً في آخرها بالمفردات والتراكيب العربية التي تضمنتها إلى غير ذلك من الصفات التي يجب أن تتوفر في كتاب تعليم اللغة العربية الجيد والتي تختلف في أهميتها من مرحلة دراسية إلى أخرى .

2 ـ العناية بحفظ القرآن الكريم وبنشر الثقافة الإسلامية وتعليم اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم ووعاء الثقافة الإسلامية ، في إطار المدارس النظامية وخارجها ، وذلك عن طريق حث الآباء على تحمّل مسئوليتهم كاملة تجاه تربية أولادهم تربية إسلامية صادقة وتنشئتهم منذ الصغر على عقائد الإسلام الصحيحة وقيمه الفاضلة وعن طريق الاكثار من المدارس العربيّة الإسلامية والمعاهد الدينية وإنشاء أقسام اللغة العربية والدراسات الإسلامية في الجامعات الوطنية لنشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية واعداد المتخصصين فيها وإعداد المعلمين لتدريسها ومن سبل نشر الثقافة الإسلامية أيضاً إصدار مجلة متخصصة تصدر باللّغة العربية وتعنى بقضايا اللغّة العربية وتعليمها لغير الناطقين وبقضايا الثقافة الإسلامية . ومن هذه السبل أيضاً إنشاء مجمع علمي إسلامي أو أكاديمية إسلامية تعنى بنشر تعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية .

3 ـ الإكثار من الندوات والمؤتمرات التي تعالج قضايا ومشكلات تدريس اللغة العربيّة والدين الإسلامي لغير الناطقين باللغة العربية ، وتشجيع البحوث والدراسات العلمية المتعلقة بتدريس اللغة العربية والدين الإسلامي وبتطوير مناهجها وطرق تدريسها ووسائلها التعليمية ، وتأليف الكتب المدرسية لهما وكتب المتابعة والتثقيف العام فيهما ، ووضع المعاجم الثنائية ، وتصميم الاختبارات الموضوعية التحصيلية في هاتين المادتين ، ونشر المؤلفات الإسلامية حول الدراسات التشريعية والعلوم الإسلامية الأخرى في عملية اتصاله اللّغوي باللّغة العربية وفي نطقه وقراءته وكتابته العربية وربما استدعى الأمر الغاء الكثير من الأبواب النحوية التقليدية التي لا يحتاجها الطالب الماليزي وإلغاء الإعراب التقديري ، وعدم اللجوء الى الاضمار والتسوية بين العلامات الأصلية والعلامات الفرعية واعتبار جميع علامات الإعراب أصلية دون تمييز بين أصلي وفرعي ، على الرغم من معارضة علماء اللغة العربية التقليديين لإدخال مثل هذه التعديلات والإصلاحات .

4 ـ الإكثار من التدريبات النحوية واللغوية الشفوية والكتابية وإتاحة الفرص الكافية أمام التلاميذ للتمرّس على القواعد النحوية والأساليب العربية والاحتكاك بنصوص اللغة العربية من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والآداب العربية في عصور ازدهارها ومن الكتابات والآداب العربية الحديثة الجيّدة[18] .

5 ـ الاستعانة بجميع وسائل الإيضاح المناسبة لتدريس اللغة العربية كلغة ثانية من : صور ثابتة ومتحركة ومسجلات صوتية ، وأشرطة مسموعة ومرئية ، إلى غير ذلك من الوسائل المعنية في التدريس والمناسبة لتدريس اللغة العربية بالذات كلغة ثانية . ومن الجوانب التي تحتاج الى الاستعانة بهذه الوسائل الحديثة الجانب الصوتي للغة العربية ، حيث إن رموز الأبجدية العربية بنفسها لا تكفي ـ كما يقول الدكتور تمام حسان ـ لدراسة صوتية للغة العربية ، بل هي قاصرة في ذلك، ويكفي أن نعلم أن الفتحة القصيرة ـ مثلاً ـ ذات أصوات ثلاثة في العربية الفصحى : أحدها مفخم ، وثانيها أقل تفخيماً ، وثالثهما مرقق . ومع ذلك لم يعن واضعوا الرموز العربية بهذا ، بل وضعوا لكل هذه خطاً يوضع فوق رمز الحرف الصحيح . ومثل

---

(18)ينظر : د . يوسف خليفة أبو بكر ، « أنواع التمارين اللغوية في الكتاب المدرسي »، مجلة اللسان العربي ، المجلد 23 ، ص 53 - 58 .

هذه الحالة تتكرر كثيراً في الدراسات الصوتية واللّسانية والتجويدية . وهي في حاجة الى سماعها ممن يحسن نطقها بطريقة مباشرة أو عن المسجلات الصوتية .

وتحقيق المخطوطات القديمة النافعة من هذه المؤلفات .

6 ـ اختيار ذوي المواهب الجيدة والرغبة الصادقة والخلق الكريم في تدريس اللغة العربية والدين الإسلامي وإعدادهم إعداداً جيداً وفق أحدث المناهج والطرق قبل الدخول إلى المهنة ثم متابعة تعليمهم وتدريبهم وتثقيفهم المستمر أثناء الخدمة ، وتوفير خدمات التوجيه وغيرها من الخدمات التي من شأنها أن تساعد على نموهم المهني المستمر وعلى رفع معنوياتهم وزيادة إنتاجهم في مجال عملهم .

7 ـ مطالبة المنظمات التربوية والثقافية العربية ، مثل « المنظمة العربية للتربية والثقافية والعلوم » بالمساهمة في نشر وتعليم اللّغة العربية في الأقطار الإسلامية والاستفادة من المنح الدراسية التي تمنحها بعض البلدان العربية للطلبة المسلمين لدراسة اللّغة العربية والدين الإسلامي فيها ، وتشجيع التبادل بين الباحثين والأساتذة الجامعيين والمدرّسين العرب المسلمين وزملائهم في الأقطار الإسلامية غير العربية ، من أجل نشر وتدعيم الثقافة العربية في هذه الأقطار ، وتوثيق العلاقات الثقافية والاقتصادية والسياسية بين البلدان العربية والبلدان الإسلامية ، وواجب العرب أن يدركوا واجبهم في هذا الخصوص والا يتوانوا عن تقديم العون في هذا المجال حين يطلب منهم ذلك . إن نشر اللغة العربية والدين الإسلامي هو في طليعة واجباتهم المقدسة ، لأن نزول القرآن الكريم بلغتهم لا ينطوي على تشريف لهم فحسب بل على تكليف لهم أيضاً بالمساهمة في نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية في البلدان الإسلامية وبين الشعوب الإسلامية .

هذه لمحة بسيطة أوجزتها عن فلسفة تدريس اللغة العربية والدين الإسلامي وعن سبل تدعيمها في المجتمعات الاسلامية غير العربية ، أرجو أن أكون قد وفقت في عرضها .

(د . عمر التومي الشيباني)